أوجز العبارات

على

كَشْفُ الشُّبُهَاتِ

خالد بن محمود الجهني



أوجز العبارات

على

كشف الشبهات

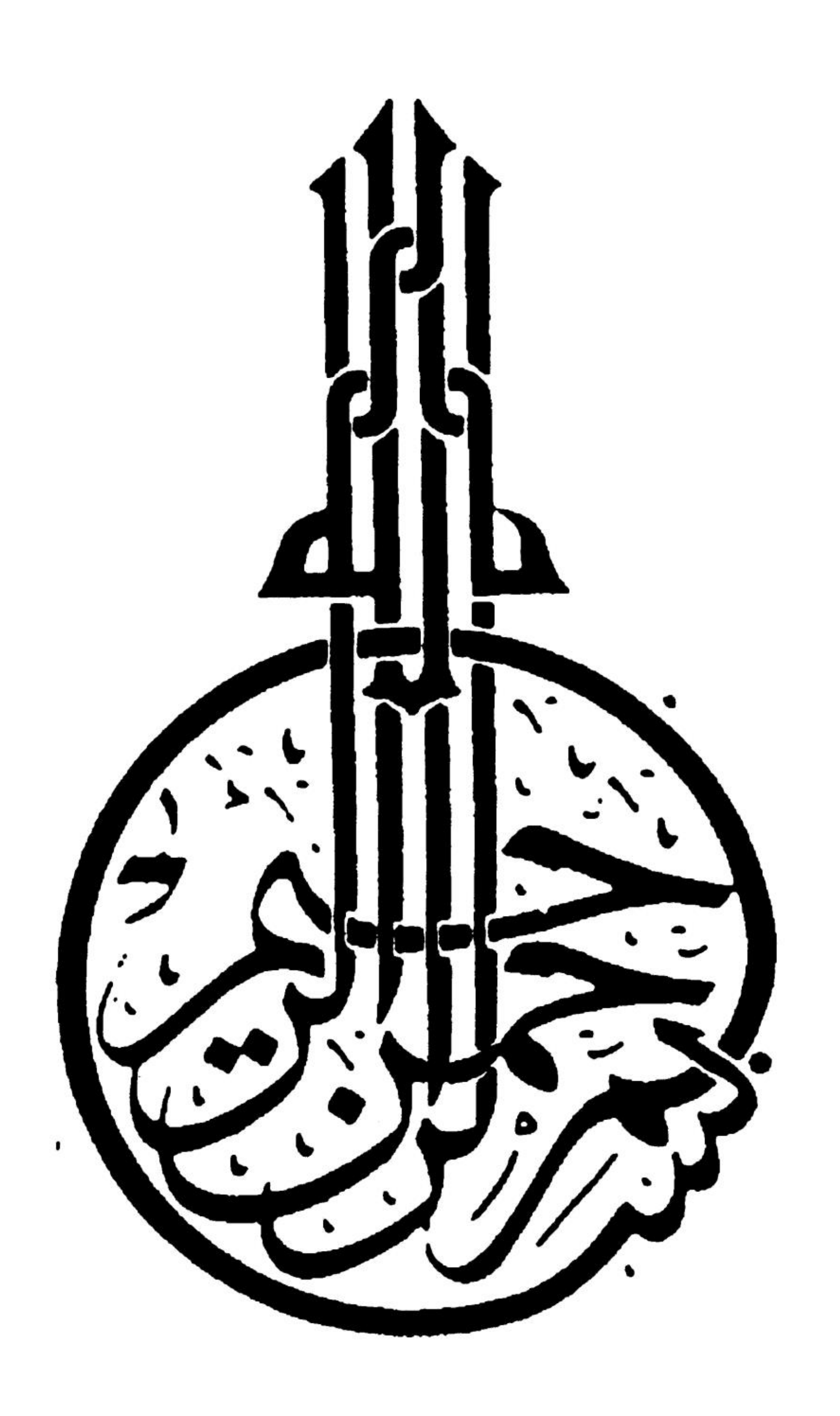
لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى
(ت ١٢٠٦هـ)

تأليف

خالد بن محمود الجهني

عامله الله بلطفه





بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار؛ وبعد؛

فإن كتاب كشف الشبهات لشيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قد تناول جملة من الشبهات التي تمسك بها أرباب الضلالة، وأبان عورها، وفضح سترها؛ وقد تلقاه العلماء بالشرح والتدريس والتحقيق؛ كلٌ على حسب ما تيسر له.

وكتب

خالد بن محمود الجهني

٧/ ٢/ ١٤٣٣هـ



شرح عنوان الكتاب «كشف الشبهات»

كشف: الكشف هو الإزاحة والإظهار والبيان؛ يقال: كشف الغطاء عن الإناء؛ إذا أظهر ما فيه؛ وكشف الأمر، إذا أظهره[١].

الشبهات: مفرد شبهة؛ وهي بمعنى التشاكل والتماثل، وسميت الشبهة شبهة؛ لأنها تُشبه الحق[٢].

ومن هذا يتبين أن المصنف رحمه الله يريد بهذا العنوان أن كتاب مشتمل على جملة من الشبهات التي أوضحها وأبان بطلانها.

□ □ □

(١) انظر: لسان العرب، مادة «كشف».

(٢) انظر: السابق، مادة «شبه».





«موضوع الكتاب»

تناول الكتاب أجلَّ موضوع وهو التوحيد، وبعض الشبهات التي أثيرت حوله؛ وقد قسمه مصنفه ثلاثة أقسام:

أحدهما: تمهيد؛ وذكر فيه عدة موضوعات:

- التوحيد الذي أرسل الله به رسله عليهم السلام، وهو توحيد الإلهية.
- المشركون الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، ولم ينفعهم إقرارهم هذا.
- الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يعرفون الله ويحجون ويعتمرون ويزعمون أنهم على دين إبراهيم الخليل عليه السلام، ولم يدخلهم هذا في الإسلام.
- المشركون أعلم بمعنى كلمة التوحيد من مشركي زماننا .
- المسلم قد يكفر بكلمة يقولها مازحا .
- الواجب عليك أن تتعلم العلم؛ لتقاتل به أعداء الله.
- القرآن فيه نقض كل شبهات المشركين .

القسم الثاني: أقسام الجواب على شبهات المشركين: مجمل، ومفصل.

الجواب المجمل على جميع شبه المشركين.

وذكر فيه خمس عشرة شبهة كان يستدل بها المشركون في زمانه على شركهم، ورد على كل شبهة، وهذا الجواب المفصل:

الشبهة الأولى: نحن نسأل الله بجاه ومكانة الصالحين التي عند الله سبحانه وتعالى .

الشبهة الثانية: هناك فرق بينا وبين مشركي قريش، فنحن ندعوا الصالحين، ومشركو قريش يدعون الأصنام.

الشبهة الثالثة: نحن نطلب الشفاعة، وطلبها ليس شركا، والمشركون يطلبون جلب النفع ودفع الضر، وهذا هو الشرك.

الشبهة الرابعة: الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة .

الشبهة الخامسة: إنكار شفاعة الرسول ﷺ، والصالحين إنكار لشفاعة الرسول ﷺ.

الشبهة السادسة: النبي ﷺ أُعطي الشفاعة، وأنا أطلب منه مما أعطاه الله ﷻ.

الشبهة السابعة: الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك.

الشبهة الثامنة: الشرك خاص بعبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام.

الشبهة: التاسعة: لا يكفر إلا من نسب الولد إلى الله ﷻ.

الشبهة العاشرة: أولياء الله لهم جاه عند الله ونحن نسأل الله بجاههم.

الشبهة الحادية عشرة: كيف تجعلوننا مثل الكفار، ونحن موحدون، مصدقون بالقرآن، مؤمنون بالبعث، مؤدون للفرائض.

الشبهة الثانية عشرة: أصحاب موسى عليه السلام، وأصحاب الرسول ﷺ لم يكفروا بذلك.

الشبهة الثالثة عشرة: من نطق بكلمة التوحيد، فإنه لا يكفر، وإن أتى بما يناقضه.

الشبهة الرابعة عشرة: الاستغاثة بغير الله ليست بشرك؛ لأن الناس يستغيثون يوم القيامة بالأنبياء.

الشبهة الخامسة عشرة: لو كانت الاستغاثة شركا لما عرضها جبريل عليه السلام على إبراهيم عليه السلام .





القسم الثالث: الخاتمة، وذكر فيها عدة موضوعات:

- التوحيد يكون بالقلب، واللسان، والجوارح، فإن اختل منها شيئا لم يكن الرجل مسلما.
- أقسام الناس في التوحيد.
- من يعذرُ بترك التوحيد؟

❑ ❑ ❑



[التمهيد]

[التوحيد الذي أرسل الله به رسله عليهم السلام، وهو توحيد الإلهية]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعْلَمْ رَحِمكَ الله أن التوحيدَ هو إفرادُ الله ﷻ بالعبادة، وهو دينُ الرسل الذي أرسلَهُم اللهُ به إلى عبادِهِ.

فأولهم نوحٌ عليه السلام أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين: ودًّا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرًا.

وآخر الرسل محمد ﷺ، وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين، أرسله الله إلى أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيرًا.

ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله ﷻ، يقولون: نريدُ منهم التقرب إلى الله تعالى، ونريدُ شفاعتهم عنده، مثل الملائكة، وعيسى، ومريم، وأناسٍ غيرهم من الصالحين.

.... الشرح ....

قوله: «بسم الله الرحمن الرحيم»: ابتداء المصنف كتابه بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز، وتأسيا بالنبي ﷺ في مكاتباته، ومراسلاته؛ والبداءة بها للتبرك، والاستعانة علي ما يُهتم به.

قوله: «اعْلَمْ»: العلم أعلي مراتب الإدراك، وهو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا[1]؛ والعلم إذا أطلق في نصوص الشرع فالمراد به العلم الشرعي.



(١) انظر: التعريفات، للجرجاني، صـ(١٥٥).

قــولــه: «رَحِمكَ الله»: أي غفر الله لك ذنوبك.

قــولــه: «أن التوحيدَ»: التوحيد لغة: مصدر وَحَّدَ يُوَحِّد توحيدًا، أي جعل الشيء واحدًا[١]، وهذا لا يتحقق إلا بتحقيق ركني التوحيد وهما: النفي والإثبات.

فائدة: التوحيد ثلاثة أقسام:

١. **توحيد الإلهية:** هو إفراد الله ﷻ بالعبادة.

٢. **توحيد الربوبية:** هو إفراد الله ﷻ بأفعاله.

٣. **توحيد الأسماء، والصفات:** هو إفراد الله تعالى بما سمى، ووصف به نفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

قــولــه: «هو إفرادُ الله ﷻ بالعبادة»: عرَّف المصنف رحمه الله التوحيد بتوحيد الإلهية، ليبين أهميته.

والعبادة لغة: هي التذلل، والخضوع؛ يقال: طريق معبد أي مذلل[٢].

وشرعًا: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله من الأقوال، والأعمال الظاهرة، والباطنة[٣].

الأقوال الظاهرة: هي أقوال اللسان: كالشهادتين، والتسبيح، والتهليل، ورد السلام، ونحوه.

والأقوال الباطنة: هي أقوال القلب: كاليقين، والتصديق، ونحوه.

والأعمال الظاهرة: هي أعمال الجوارح: كالصلاة، والصيام، والزكاة، و النذر،

(١) انظر: لسان العرب، مادة «وحد».

(٢) انظر: لسان العرب، مادة «عبد».

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ١٤٩).



والطواف، ونحوه.

والأعمال الباطنة: هي أعمال القلب: كالخوف، والرجاء، والمحبة، والخشية، والإنابة، ونحوه.

قـولــه: «وهو»: أي التوحيد .

قـولــه: «دينُ الرسل الذي أرسلَهُم اللهُ به إلى عبادِهِ»: أي دين الأنبياء والرسل جميعًا هو التوحيد؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل:٣٦].

قـولــه: «فأولهم نوحٌ ﷺ»: لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء:١٦٣].

وفي حديث الشفاعة أن أهل الموقف يأتون نوحا ﷺ فيقولون: «يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ»[(١)].

قـولــه: «أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين: ودًا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرًا»: فسبب كفرهم: الغلو في حب الصالحين؛ فكان هؤلاء الخمسة صالحين، فلما ماتوا زين لهم الشيطان أن يصوروا لهم تماثيل ليتذكروهم فينشطوا في العبادة، فلما ماتوا أتى بعدهم قوم لا يعرفون سبب تصويرهم، فزين لهم الشيطان عبادتهم، وظنوا أن أسلافهم كانوا يعبدونهم، فلما فعلوا ذلك أرسل الله إليهم نوحًا ﷺ يدعوهم لعبادة الله وحده.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، «صَارَتِ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي العَرَبِ بَعْدُ أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجَوْفِ، عِنْدَ سَبَإٍ، وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وَأَمَّا

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٣).



نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الكَلَاعِ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ»[(١)].

والغلو: هو الإفراط بالتعظيم بالقول والاعتقاد.

قـولـه: «وآخر الرسل محمد ﷺ»: لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «خُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ»[(٢)].

قـولـه: «وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين»: أي صور ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، وكان هذا في عام الفتح.

قـولـه: «أرسله الله إلى أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيرًا»: ويفردون الله بالربوبية.

قـولـه: «ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله ﷻ، يقولون: نريدُ منهم التقرب إلى الله تعالى، ونريدُ شفاعتهم عنده، مثل الملائكة، وعيسى، ومريم، وأناسٍ غيرهم من الصالحين»: هذا سبب كفرهما، فلما جعلوا بينهم وبين الله وسائط كفرهم الله ﷻ.

قال شيخ الإسلام: «فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنب وهداية

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٩٢٠).

(٢) صحيح: مسلم (٥٢٣).





القلوب وتفريج الكروب وسد الفاقات، فهو كافر بإجماع المسلمين»[١].

□ □ □

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ١٢٤).



[المشركون الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، ولم ينفعهم إقرارهم هذا]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

فبعثَ اللهُ محمدا ﷺ يجدد لهم دينَ أبيهم إبراهيم عليه السلام، ويُخبرهُم أن هذا التقرب والاعتقاد محضُ حق الله تعالى؛ لا يصلح منه شيء لغير الله، لا لَملَكٍ مقرب ولا لنبي مُرسلٍ فضلًا عن غيرِهما، وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي ولا يميت إلا هو، ولا يدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السماوات السبع ومن فيهن، والأرضين السبع ومن فيهن، كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره، فإذا أرادتَ الدليل على أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بهذا فأقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١].

وقوله: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩]؛ وغير ذلك من الآيات.

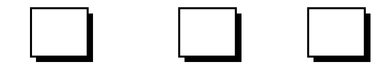
.... الشرح ....

قوله: «فبعثَ اللهُ محمدا ﷺ يجدد لهم دينَ أبيهم إبراهيم عليه السلام، ويُخبرهُم أن هذا التقرب والاعتقاد محضُ حق الله تعالى؛ لا يصلح منه شيء لغير الله، لا لَملَك

مقرب ولا لنبي مُرسلٍ فضلًا عن غيرِهما»: فالسبب من بعثة النبي ﷺ هو تجديد دين إبراهيم عليه السلام، ويخبر الناس أن التقرب إليه سبحانه وتعالى حق خالص لله لا يجوز جعله لأي أحد.

قوله: «وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي ولا يميت إلا هو، ولا يدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السماوات السبع ومن فيهن، والأرضين السبع ومن فيهن، كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره»: فالمشركون كانوا يقرون بتوحيد الربوبية.

قوله: «فإذا أرادتَ الدليل على أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بهذا فأقرأ قوله تعالى....»: يلزم من هذا إفراد الإلهية لله سبحانه وتعالى؛ لأن توحيد الربوبية والإلهية متلازمان، فمن أقر بأحدهما لزمه أن يقر بالآخر.







[الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يعرفون الله ويحجون ويعتمرون ويزعمون أنهم على دين إبراهيم الخليل عليه السلام، ولم يدخلهم هذا في الإسلام]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

إذا تحققت أنهم مقرون بهذا، وأنه لم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ.

وعرفتَ أن التوحيدَ الذي جحدوه هو توحيدُ العبادةِ الذي يُسميه المشركون في زماننا [الاعتقاد].

وكانوا يدعون الله سبحانه ليلًا ونهارًا، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجلِ صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له، أو يدعو رجلًا صالحًا مثل اللات أو نبيًا مثل عيسى عليه السلام، وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك، ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨].

وقال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ [الرعد:١٤].

وتحققت أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله، والنذر كله لله، والذبح كله لله، والاستغاثة كلها بالله، وجميع أنواع العبادة كلها لله.

وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، وأن قصدَهُمُ الملائكةَ والأنبياءَ والأولياءَ، يُريدونَ شفاعتَهم والتقربَ إلى الله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالَهم.

عرفتَ حينئذٍ التوحيدَ الذي دعتْ إليه الرسلُ، وأبى عن الإقرارِ به المشركون؛ وهذا التوحيدُ هو معنى قولِك: لا إله إلا الله، فإن الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور، سواء كان ملكًا أو نبيًا أو وليًا أو شجرةً أو قبرًا أو جنيًا، لم يريدوا

أن الإله هو الخالق الرازق المدبر، فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك، وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد؛ فأتاهُم النبيُّ ﷺ يدعُوهم إلى كلمةِ التوحيدِ وهي: لا إله إلا الله؛ والمرادُ من هذه الكلمةِ معناها لا مجرد لفظها.

الشـرح

قـولـه: «إذا تحققت أنهم مقرون بهذا»: أي مقرون بتوحيد الربوبية.

قـولـه: «وأنه لم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ»: فالإقرار بتوحيد الربوبية وحده لا يكفي للدخول في الإسلام؛ فمن عرف أن الله هو الخالق الرازق المدبر لجميع أمره لزمه أن يوحد الله ﷻ.

قـولـه: «وعرفتَ أن التوحيدَ الذي جحدوه هو توحيدُ العبادةِ»: أي أن المشركين جحدوا توحيد الألوهية.

قـولـه: «الذي يُسميه المشركون في زماننا الاعتقاد»: أي يسمون توحيد الألوهية بالاعتقاد؛ وذلك لأنهم يفسرون توحيد الألوهية بأنه اعتقاد أن الله تعالى هو الخالق والرازق والمحيي المميت.

قـولـه: «وكانوا يدعون الله سبحانه ليلًا ونهارًا، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجلِ صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له، أو يدعو رجلًا صالحًا مثل اللات أو نبيًا مثل عيسى عليه السلام»: هذا فيه رد على من زعم أن حقيقة شرك المشركين كان في عبادة الأصنام فقط؛ فمن المشركين من كان يعبد الملائكة، ومنهم من كان يعبد الأنبياء، ومنهم من كان يعبد الصالحين.

قـولـه: «وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك»: فلم يفرق بينهم؛ فعَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ



عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ»[١].

قولــه: «وتحققت أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله»: الدعاء أفضل العبادات لذا بدأ به المصنف؛ وهو قسمان: دعاء عبادة ودعاء مسألة.

فالأول: دعاء عبادة: وهذا يكون بأي نوع من أنوع العبادة كالصلاة، والصوم.

والثاني: دعاء مسألة: وهو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو دفع ضر.

قولــه: «والنذر كله لله»: النذر هو إلزام الكلف نفسه عبادة لم تكن لازمة بأصل الشرع.

النذر عبادة يجب إخلاصها لله تعالى؛ قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ﴿٧﴾﴾ [الإنسان:٧] ، ووجه الدلالة: أن الله تعالى مدح الموفين بالنذر، والله تعالى لا يمدح إلا على فعل واجب أو مستحب، أو ترك محرم، وذلك هو العبادة، فمن فعل ذلك لغير الله متقربًا إليه فقد أشرك.

قولــه: «والذبح كله لله»: الذبح: إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص، وهو من أجَلِّ العبادات التي يتقرب بها العبد لربه ﷻ؛ ولذا قرن الله بينها وبين الصلاة فقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر:٢]، فالصلاة أفضل العبادات البدنية، و النحر أجل العبادات المالية.

قولــه: «والاستغاثة كلها بالله»: الاستغاثة هي: طلب الغوث والنصرة؛ فلا يجوز صرفها لغير الله ﷻ.

قولــه: «وجميع أنواع العبادة كلها لله»: فلا يجوز صرفها لغير الله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزُّمَر:٢].



(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

قـولـــه: «وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام»: لأن أنواع التوحيد الثلاثة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض؛ وهذه هي القاعدة الأولى.

قـولـــه: «وأن قصدَهُمُ الملائكةَ والأنبياءَ والأولياءَ، يُريدونَ شفاعتَهم والتقربَ إلى الله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالَهم»: أي أن الذي أحل دم الكفار هو أنهم كانوا يتقربون إلى الله ﷻ بدعوة الأنبياء والصالحين، يريدون الشفاعة منهم؛ وهذه هي القاعدة الثانية.

قـولـــه: «عرفتَ حينئذٍ التوحيدَ الذي دعتْ إليه الرسلُ، وأبى عن الإقرارِ به المشركون»: فالتوحيد الذي دعت إليه الرسل؛ وهو إفراد الله سبحانه بالعبادة.

قـولـــه: «وهذا التوحيدُ هو معنى قولِك: لا إله إلا الله»: أي توحيد العبادة هو معنى قولك لا إله إلا الله.

قـولـــه: «فإن الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور»: كطلب شفاعة الأولياء والصالحين، والتوجه إلى الله بدعائهم من دون الله، والاستغاثة بهم.

قـولـــه: «سواء كان ملكًا أو نبيًا أو وليًا أو شجرةً أو قبرًا أو جنيًا، لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر، فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك، وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد»: فالعبرة بالمعنى الحقيقي لا بالمسميات، فمن عبد شيئًا، وقال: هذا ولي أو سيد، لم يغير ذلك الاسم حقيقته.

قـولـــه: «فأتَاهُم النبيُ ﷺ يدعُوهم إلى كلمةِ التوحيد، وهي: لا إله إلا الله»: فقد كانت دعوة النبي ﷺ لقومه إلى تحقيق شهادة لا إله إلا الله.

قـولـــه: «والمرادُ من هذه الكلمةِ معناها لا مجرد لفظها»: فمعنى كلمة التوحيد نفي الإلهية عما سوى الله، وإثباتها لله وحده.



[المشركون أعلم بمعنى كلمة التوحيد من مشركي زماننا]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

والكفارُ الجهَالُ يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو: إفراد الله تعالى بالتعلقِ به، والكفرُ بما يعبدُ من دون اللهِ والبراءة منه فإنه لما قال لهم قولوا لا إله إلا الله، قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص:٥].

فإذا عرفت أن جهالَ الكفارِ يعرفون ذلك فالعجبُ من يدعي الإسلامَ وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهالُ الكفارِ، بل يظنُ أن ذلك التلفظُ بحروفها من غير اعتقاد القلبِ لشيءٍ من المعاني، والحاذقُ منهم يظنُ أن معناها، لا يخلقُ ولا يرزقُ، إلا اللهُ، ولا يدبرُ الأمرَ إلا اللهُ، فلا خير في رجلٍ جُهالُ الكفارِ أعلمُ منه بمعنى «لا إله إلا الله».

الشـرح

قــولـــه: «والكفارُ الجهَالُ يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو: إفراد الله تعالى بالتعلقِ به»: أي تعلق القلب بالله ﷻ؛ فلا يدعى غيره.

قــولـــه: «والكفرُ بما يعبدُ من دون اللهِ والبراءة منه فإنه لما قال لهم: قولوا لا إله إلا الله، قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾»: قالوا ذلك لأنهم كانوا يدركون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالعبادة، والكفر بما يعبد من دون الله، وأن تحقيقها لا يكون بمجرد التلفظ بها، بل لا بد من اعتقاد معناها، والعمل بمقتضاها.

قــولـــه: «فإذا عرفت أن جهالَ الكفارِ يعرفون ذلك فالعجبُ من يدعي الإسلامَ وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهالُ الكفارِ»: فالكثير من

المسلمين يجهلون حقيقة لا إله إلا الله، مع أنهم يقولونها كثيرا.

قـولـه: «بل يظنُ أن ذلك التلفظُ بحروفها من غير اعتقاد القلبِ لشيءٍ من المعاني»: أي يعتقدون أن التلفظ بكلمة التوحيد كاف للدخول في هذا الدين.

قـولـه: «والحاذقُ منهم يظنُ أن معناها، لا يخلقُ ولا يرزقُ، إلا اللهُ، ولا يدبرُ الأمرَ إلا اللهُ»: أي أنهم ظنوا أن معناها إفراده بالربوبية.

قـولـه: «فلا خير في رجلٍ جُهالُ الكفارِ أعلمُ منه بمعني لا إله إلا الله »: لأنه يتلفظ بكلمة التوحيد، ولا يدري معناها، ولا يعمل بمقتضاها.

❑ ❑ ❑



[المسلم قد يكفر بكلمة يقولها مازحا]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

إذا عرفتَ ما قلتُ لك معرفة قلبٍ، وعرفتَ الشرك بالله الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨] ، وعرفتَ دينَ الله الذي بَعَثَ بِهِ الرُسُلَ من أولِهِم إلى آخرِهم الذي لا يقبلُ اللهُ من أحدٍ دينًا سواهُ، وعرفتَ ما أصبح غالبُ الناسِ عليهِ من الجهلِ بهذا؛ أفادَكَ فائدتينِ:

الأولى: الفرحُ بفضلِ الله ورحمتِهِ كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس:٥٨].

وأفادَكَ أيضًا: الخوف العظيم.

فإنك إذا عرفتَ أن الإنسانَ يكفرُ بكلمةٍ يُخرجُها من لسانِه، وقد يقولها وهو جاهلٌ فلا يعذرُ بالجهلِ، وقد يقولُها وهو يظنُّ أنها تقرُّبه إلى الله تعالى؛ كما ظنَّ المشركون، خصوصًا إن ألهمَكَ اللهُ ما قصّ عن قوم موسى معَ صلاحِهم وعلمِهم، أنهم أتوْهُ قائلينَ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨]، فحينئذٍ يعظمُ خوفُك وحرصُك على ما يخلصُك من هذا وأمثالِه.

الشـرح

قــولــه: «إذا عرفتَ ما قلتُ لك معرفة قلبٍ»: أي إذا عرفت حال المشركين من الجهل بكلمة التوحيد بقلبك.

قــولــه: «وعرفتَ الشرك بالله الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾»: الشرك هو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله.

قــولــه: «وعرفتَ دينَ الله الذي بَعَثَ بِهِ الرُسُلَ من أولِهِم إلى آخرِهم الذي لا

يقبلُ اللهُ من أحدٍ دينًا سواهُ»: دين الأنبياء واحد؛ وهو دين الإسلام الذي هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.

قــولـــه: «وعرفتَ ما أصبح غالبُ الناسِ عليهِ من الجهلِ بهذا»: أي بمعنى التوحيد، والشرك.

قــولـــه: «أفادَك فائدتينِ»: أي ما تقدم من كلام المصنف رحمه الله؛ وهو:

١- جُهال الكفار يعرفون التوحيد، والمراد منه معرفة معناه والعمل بمقتضاه.

٢- عظم عقوبة الشرك الذي لا يغفره الله تعالى.

٣- معرفة دين الرسل من أولهم إلى آخرهم، والذي لا يقبل الله دينًا سواه.

٤- ما أصبح عليه غالب الناس فيه من الجهل بهذا التوحيد.

قــولـــه: «الأولى: الفرحُ بفضلِ الله ورحمتِه كما قال الله تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾»: أي قل يا محمد ﷺ لهؤلاء المكذِّبين بك، وبما أنزل إليك من عند ربك بفضل الله أيها الناس، الذي تفضل به عليكم، وهو الإسلام، فبيَّنه لكم، ودعاكم إليه، وبرحمته التي رحمكم بها، فأنزلها إليكم، فعلَّمكم ما لم تكونوا تعلمون من كتابه، وبصَّركم بها معالم دينكم، وذلك القرآن، فإن الإسلام الذي دعاهم إليه، والقرآن الذي أنزله عليهم، خيرٌ مما يجمعون من حُطَام الدنيا وأموالها وكنوزها[1].

قــولـــه: «وأفادَك أيضًا»: هذه الفائدة الثانية.

قــولـــه: «الخوف العظيم»: أي من الوقوع في مثل ما وقع فيه المشركون، وهو الشرك.

قــولـــه: «فإنك إذا عرفتَ أن الإنسانَ يكفرُ بكلمةٍ يُخرجُها من لسانِه»: الكفر

(١) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ١٠٥).





بمعنى: الستر والتغطية، وهو ضد الإيمان.

قــولـــه: «وقد يقولها وهو جاهلٌ فلا يعذرُ بالجهلِ»: يحمل كلام المصنف على الذي فرط وقصر في التعلم، أو على من سب الله تعالى أو سب رسوله ﷺ، فإنه لا يعذر؛ لأن النبي ﷺ لم يعذر الذين استهزؤا به وبأصحابه بل كفرهم.

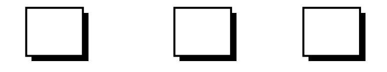
قــولـــه: «وقد يقولُها»: أي كلمة الكفر.

قــولـــه: «وهو يظنُّ أنها تقرُّبه إلى الله تعالى»: أي يظن أن كلمة الكفر تقربه إلى الله.

قــولـــه: «كما ظنَّ المشركون»: أي كما ظن المشركون أن أفعالهم الشركية تقربهم إلى الله.

قــولـــه: «خصوصًا إن ألهمَك اللهُ ما قصَ عن قوم موسى معَ صلاحِهم وعلمِهم، أنهم أتوْهُ قائلينَ: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾»: أي ظن قوم موسى عليه السلام أن طلبهم هذا يقربهم إلى الله، ولو علموا خلاف ذلك ما طلبوه.

قــولـــه: «فحينئذٍ يعظمُ خوفُك وحرصُك على ما يخلصُك من هذا وأمثالِهِ»: أي من الكفر وما يوصل إليه.





[الواجب عليك أن تتعلم العلم؛ لتقاتل به أعداء الله]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

واعلم أنّ الله ﷻ من حكمتِه لم يبعث نبيًا بهذا التوحيد إلا جعل له أعداءً، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:١١٢].

وقد يكونُ لأعداء التوحيدِ علومٌ كثيرةٌ وكتبٌ وحججٌ، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [غافر:٨٣].

إذا عرفتَ ذلك، وعرفتَ أن الطريق إلى الله لا بد له من أعداء قاعدين عليه، أهلِ فصاحةٍ وعلمٍ وحججٍ، فالواجبُ عليك أن تعلمَ من دينِ الله ما يصيرُ سلاحًا تقاتلُ به هؤلاء الشياطين، الذين قال إمامُهم ومقدمُهم لربك ﷻ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف:١٦-١٧].

ولكن إذا أقبلتَ على الله، وأصغيتَ إلى حجج الله وبيناتِه، فلا تخف ولا تحزن ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٧٦].

.... الشرح ....

قــولــه: «واعلم أنّ الله ﷻ من حكمتِه لم يبعث نبيًا بهذا التوحيد إلا جعل له أعداءً، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾»: الحكمة من ذلك هي الابتلاء والاختبار



والتمحيص[(١)]، وفي هذا حث للداعية على الصبر على ما يلاقيه من أذية الناس له ولدعوته.

قوله: «وقد يكونُ لأعداء التوحيدِ علومٌ كثيرةٌ وكتبٌ وحججٌ، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾»: أي لهؤلاء الأعداء لهم كتب وحجج يستدلون بها على باطلهم؛ ولكنها كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء، فإذا جاءه لم يجده شيئا.

قوله: «إذا عرفتَ ذلك»: أي أن لهؤلاء الأعداء كتب وحجج.

قوله: «وعرفتَ أن الطريق إلى اللهِ لا بد له من أعداء قاعدين عليه، أهلِ فصاحةٍ وعلمٍ وحججٍ»: أي هؤلاء الأعداء أهل فصاحة، وعلم، وحجج يقعدون على كل طريق موصل إلى الله؛ ليقطعوه على سالكيه.

قوله: «فالواجبُ عليك أن تعلمَ من دينِ اللهِ ما يصيرُ سلاحًا تقاتلُ به هؤلاء الشياطين، الذين قال إمامُهم ومقدمُهم لربك ﷻ: ﴿لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾»: أي عليك أن تتخذ سلاحا من العلم؛ لكي ترد به حجج هؤلاء الأعداء، ويكون هذا بمعرفة الأدلة الشرعية، والعقلية التي ترد بها عليهم، وكذا بمعرفة ما عندهم من الباطل.

قوله: «ولكن إذا أقبلتَ على الله، وأصغيتَ إلى حججِ الله وبيناتِه، فلا تخف ولا تحزن ﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾»: أي عليك يا من تريد أن تسلك هذا الطريق، وهو الرد على هؤلاء الشياطين أن تقبل على الله، وتتعلم حججه وبيناته،

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٥١).

فإن فعلت هذا فلا تخف ولا تحزن؛ لأن الله معك، ولأن كيد الشيطان ضعيف لا حول له.

❑ ❑ ❑



[القرآن فيه نقض كل شبهات المشركين]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

والعاميُ من الموحدين يغلبُ ألفًا من علماء هؤلاء المشركين كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٥٦﴾ [المائدة:٥٦]؛ فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان، وإنما الخوفُ على الموحّدِ الذي يسلكُ الطريقَ وليس معه سلاحٌ.

وقد منّ الله تعالى علينا بكتابه الذي جعلَهُ ﴿تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩]، فلا يأتي صاحبُ باطلٍ بحجةٍ إلا وفي القرآن ما ينقضُها، ويبين بطلانَها، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ٣٣﴾ [الفرقان:٣٣]، قال بعض المفسرين: هذه الآية عامة في كل حجةٍ يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة.

الشرح

قولـــه: «والعاميُ من الموحدين»: أي الذي يعرف دينه، وليس المقصود الجاهل.

قولـــه: «يغلبُ ألفًا من علماء هؤلاء المشركين كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٥٦﴾»: لأن الله ﷻ تولاه، ومن تولاه الله كان منتصرا ولا بد، كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١﴾ [المجادلة:٢١].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «أي: قد حكم وكتب في كتابه الأول وقدره الذي لا يخالف ولا يمانع، ولا يبدل، بأن النصرة له ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة، وأن العاقبة للمتقين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر: ٥١-٥٢].

وقال ها هنا: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة: ٢١]، أي: كتب القوي العزيز أنه الغالب لأعدائه، وهذا قدر محكم وأمر مبرم، أن العاقبة والنصرة للمؤمنين في الدنيا والآخرة»(١).

قــولـــه: «فجند الله»: أي عباده المؤمنون الذين علموا وعملوا بما شرعه لهم.

قــولـــه: «هم الغالبون بالحجة واللسان، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان»:

أي غالبون أعداء الله بالحجة والبيان دائما، كما أنهم يغلبون بالسيف والسنان.

قــولـــه: «وإنما الخوفُ على الموحِدِ الذي يسلكُ الطريقَ وليس معه سلاحٌ»:

أي الذي ليس معه من العلم النافع ما يدافع به عن دينه، ويبطل شبه المبطلين.

قــولـــه: «وقد منّ الله تعالى علينا بكتابه الذي جعلَهُ ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾»: أي نزل عليك يا محمد ﷺ هذا القرآن بيانا لكلّ ما بالناس إليه الحاجة من معرفة الحلال والحرام والثواب والعقاب، وَهُدًى من الضلال، وَرَحْمَةً لمن صدّق به، وعمل بما فيه من حدود الله، وأمره ونهيه، فأحل

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٥٣-٥٤).





حلاله، وحرّم حرامه، وبشارة لمن أطاع الله وخضع له بالتوحيد، وأذعن له بالطاعة، يبشره بجزيل ثوابه في الآخرة، وعظيم كرامته[1].

قـولــه: «فلا يأتي صاحبُ باطلٍ بحجةٍ إلا وفي القرآن ما ينقضُها، ويبين بطلانَها، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان:٣٣]، قال بعض المفسرين: هذه الآية عامة في كل حجةٍ يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة»: فلا يأتي أحد بحجة وشبهة، ولا يقول قولا يعارض به الحق، إلا أجباه الله ﷻ بما هو الحق في نفس الأمر، وأبين وأوضح وأفصح من مقالته[2].

❑ ❑ ❑

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٧٨).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ١٠٩).



[القسم الثاني]

[أقسام الجواب على شبهات المشركين]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله تعالى في كتابه جوابًا لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا، فنقول: جوابُ أهلِ الباطلِ من طريقين، مُجْمَلٍ، ومُفَصّلٍ.

الشرح

قوله: «وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله تعالى في كتابه جوابًا لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا»: هذا في بيان لموضوع الكتاب، وهو ذكر شبه المشركين، والرد عليها من كتاب الله ﷻ.

قوله: «فنقول: جوابُ أهلِ الباطلِ من طريقين، مُجْمَلٍ، ومُفَصّلٍ»: أي الجواب على أهل الباطل يكون من طريقين: أحدهما: مجمل يرد به على جميع الشبه جملة، والثاني: مفصل خاص بالرد على كل شبهة على حدة.







[الجواب المجمل]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله تعالى في كتابه جوابًا لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا، فنقول: جوابُ أهلِ الباطلِ من طريقين، مُجْمَلٍ، ومُفَصّلٍ.

أما المجمل: فهو الأمرُ العظيمُ، والفائدةُ الكبيرةُ لمن عقلها، وذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧].

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «فَإِذَا رَأَيْتم الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ»(١).

مثالُ ذلك: إذا قال لك بعضُ المشركين: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس:٦٢]، أو إنَّ الشفاعةَ حقٌّ، أو إنَّ الأنبياءَ لهم جاهٌ عندَ الله، أو ذكر كلامًا للنبي ﷺ يَستدلُ به على شيءٍ من باطلهِ، وأنت لا تفهم معنى الكلامِ الذي ذكرَه، فجاوبهُ بقولكَ: إن الله ذكرَ أنَّ الذين في قلوبهم زَيْغُ يتركونَ المحكمَ ويتبعونَ المتشابهَ، وما ذكرته لك من أن الله ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية، وأن كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨]، هذا أمر محكم بين لا يقدر أحد أن يغير معناه، وما

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥) عن عائشة رضي الله عنها.



ذكرت لي أيها المشرك من القرآن أو كلام النبي ﷺ لا أعرف معناه، ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله ﷻ.

وهذا جواب جيد سديد، ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله تعالى، فلا تستهن به، فإنه كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ٣٥﴾ [فُصِّلَت: ٣٥].

الشـرح

قــولـــه: «أما المجمل»: هذا شروع في تفصيل الجوابين المجمل، والمفصل.

قــولـــه: «فهو الأمرُ العظيمُ، والفائدةُ الكبيرةُ لمن عقلها»: أي يفهمها، وهذا فيه إشارة إلى أن هذا الجواب لا يفيد من طبع الله على قلبه.

قــولـــه: «وذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾»: أي إن الله هو الذي أنزل عليك يا محمد ﷺ القرآن، منه آيات محكمات بالبيان، هن أصل الكتاب الذي عليه عمادُك وعماد أمتك في الدّين، وإليه مفزعُك ومفزعهم فيما افترضت عليك وعليهم من شرائع الإسلام، وآيات أخر، هنّ متشابهاتٌ في التلاوة، مختلفات في المعاني.

فأما الذين في قلوبهم ميل عن الحق وانحرافٌ عنه، فيتبعون ما تشابهت ألفاظه وتصرَّفت معانيه بوجوه التأويلات، ليحققوا بادّعائهم الأباطيلَ من التأويلات في ذلك ما هم عليه من الضلالة والزّيغ عن محجة الحقّ، تلبيسًا منهم بذلك على من ضعفت معرفته بوجوه تأويل ذلك وتصاريف معانيه(١).



(١) انظر: تفسير الطبري (٦/ ١٧٤-٢٠٠).

قــولـــه: «﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾»: أي لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله[١]، وجمهور السلف والخلف على وجوب الوقف هنا[٢].

قــولـــه: «وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «فَإِذَا رَأَيْتم الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ»: في هذا الحديث التحذير من مخالطة أهل الزيغ، وأهل البدع، ومن يتبع المشكلات للفتنة، فأما من سأل عما أشكل عليه منها للاسترشاد وتلطف في ذلك، فلا بأس عليه وجوابه واجب، وأما الأول، فلا يجاب بل يزجر ويعزر[٣].

الفرق بين المحكم والمتشابه من وجهين[٤]:

أحدهما: المحكم المكشوف المعنى الذي لا يتطرق إليه إشكال، واحتمال.

والمتشابه ما يتعارض فيه الاحتمال.

والثاني: المحكم ما انتظم ترتيبه مفيدا إما ظاهرا وإما بتأويل.

والمتشابه كالأسماء المشتركة مثل:

- **القُرْء:** هو متردد بين الحيض، والطهر.
- **الذي بيده عُقْدة النكاح:** هو متردد بين الولي، والزوج.
- **اللمس:** هو متردد بين الوطء، والمس باليد.

---

(١) انظر: البغوي (١/ ٤١٢).

(٢) انظر: التدمرية، صـ (٩٠).

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم (١٦/ ٢١٨).

(٤) انظر: المستصفى، للغزالي (١/ ٨٥).



قـــولــــه: «مثالُ ذلك: إذا قال لك بعضُ المشركين: «أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»، أو إنَّ الشفاعةَ حقٌّ، أو إنَّ الأنبياءَ لهم جاهٌ عندَ اللهِ، أو ذكر كلامًا للنبي ﷺ يَستدلُ به على شيءٍ من باطلِهِ»: هاتان شبهتان يذكرهما المشركين للاستدلال على باطلهم:

الأولى: أن أولياء الله ﷻ لهم مكانة، وجاه عند الله ﷻ، ونحن نسأل الله بمكانتهم.

الثانية: أن الشفاعة ثابتة، ونحن نطلب الشفاعة من الله بمكانة هؤلاء الصالحين.

قـــولــــه: «وأنت لا تفهم معنى الكلامِ الذي ذكرَه»: أي إن كنت لا تفهم معنى الكلام الذي استدل به المشرك على الباطل فجاوبه بالجواب الآتي، وهو جواب مجمل.

أما إن كنت تفهم معناه فجاوبه بالجواب المفصل كما سيأتي.

قـــولــــه: «فجاوبهُ بقولكَ: إن الله ذكرَ أنَّ الذين في قلوبهم زَيْغٌ يتركونَ المحكمَ ويتبعونَ المتشابهَ»: هذا الجواب المجمل، وملخصه أن تقول للمشرك الذي استدل بالباطل:

أن الله ﷻ ذكر في كتابه الحكيم أن الذي في قلوبهم ميل وانحراف يتركون المحكم، ويتبعون المتشابه، وأنت تركت المحكم، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ١٨﴾ [الجن:١٨].

واتبعت المتشابه، وهو قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٦٢﴾ [يونس:٦٢].



قــولــه: «وما ذكرته لك من أن الله ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية، وأن كفرهم بتعلقهم على الملائكة، والأنبياء، والأولياء مع قولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ هذا أمر محكم بين لا يقدر أحد أن يغير معناه»: أي من المحَكم الذي لا يقدر أحد رده أن المشركين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، ومع هذا كفرهم الله ﷻ؛ لأجل تعلقِهم على الملائكة، والأنبياء، والأولياء.

قــولــه: «وما ذكرت لي أيها المشرك من القرآن، أو كلام النبي ﷺ لا أعرف معناه»: أي لا أفهم معناه.

قــولــه: «ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله ﷻ»: لأن الله ﷻ وصف كتاب بأنه لا تناقض فيه كما قال ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:٨٢].

وقال تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فُصِّلَت:٤٢].

وكلام الرسول ﷺ كالقرآن؛ لأنها وحي من عند الله ﷻ، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم:٣-٤].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ»(١).

قــولــه: «وهذا جواب جيد سديد، ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله تعالى فلا تستهن به»: أي هذا الجواب الذي ذكرته لك في رد المحكم إلى المتشابه لا يفهمه إلا من أردا الهداية، فوفقه الله إليه، فلا تستهن به، وتعرض عنه.



(١) صحيح: رواه البخاري (٤٩٨١).

قــولـــه: «فإنه كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥﴾»: أي وما يقبل هذه الخصلة إلا ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والأخرى[1].

ويتلخص الجواب المجمل في ثلاثة نقاط:

الأولى: أنك تركت المحكم، واتبعت المتشابه.

الثانية: أن المشركين الأوائل كانوا يقرون بالربوبية، وكفرهم الله لأجل أنهم طلبوا الشفاعة من الأولياء والصالحين، وهذا دليل على كفر من فعل فعلهم.

الثالثة: أن كلام لا معنى له، وكلام الله ﷻ، ورسوله ﷺ لا تناقض فيه، فيجب عليك أن تُعرض عن المتناقض، وأن تسلِّم للكلام الذي لا تناقض فيه، وهو كلام الله ﷻ، وكلام رسوله ﷺ.

❑ ❑ ❑



---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٧٢)، وتفسير ابن كثير (٧/ ١٨١).

[الجواب المفصل]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

وأما الجواب المفصلُ: فإن أعداءَ اللهِ لهُمُ اعتراضاتٌ كثيرةٌ على دينِ الرسلِ يصدونَ بها الناسَ عنهُ.

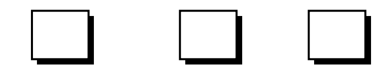
الشرح

قــولــه: «وأما الجواب المفصلُ»: أي الجواب المفصل على كل شبهة يوردها أهل الباطل استدلالا على باطلهم.

قــولــه: «فإن أعداءَ اللهِ لهُمُ اعتراضاتٌ كثيرةٌ»: أي شبهات كثرة، ومتنوعة.

قــولــه: «على دينِ الرسلِ يصدونَ بها الناسَ عنهُ»: أي هذه الشبهات يلقونها ليصدوا الناس عن اتباع رسل الله عليهم السلام، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: ٣١].





[الشبهة الأولى]

[نحن نسأل الله بجاه ومكانة الصالحين التي عند الله ﷻ]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

منها قولُهم: نحنُ لا نشركُ بالله، بل نشهدُ أنه لا يخلقُ ولا يرزقُ ولا ينفعُ ولا يضرُ إلا الله وحدَه لا شريكَ لهُ، وأن محمدًا ﷺ لا يملكُ لنفسه نفعًا ولا ضرًا، فضلًا عن عبد القادر أو غيرِه، ولكن أنا مذنبٌ والصالحونَ لهم جاهٌ عندَ الله، وأطلبُ من الله بهم.

فجاوِبهُ بما تقدمَ: وهو أن الذين قاتَلَهم رسولُ الله ﷺ، مقرونَ بما ذكرتَ، ومقرونَ أن أوثانَهم لا تدبرُ شيئًا، وإنما أرادوا الجاهَ والشفاعةَ، واقرأ عليه ما ذكرَ اللهُ في كتابِهِ ووضَّحَهُ.

.... الشرح ....

قـولــه: «منها قولُهم: نحنُ لا نشركُ بالله، بل نشهدُ أنه لا يخلقُ ولا يرزقُ ولا ينفعُ ولا يضرُ إلا الله وحدَه لا شريكَ لهُ، وأن محمدًا ﷺ لا يملكُ لنفسه نفعًا ولا ضرًا، فضلًا عن عبد القادر أو غيرِه، ولكن أنا مذنبٌ والصالحونَ لهم جاهٌ عندَ الله، وأطلبُ من الله بهم»: ملخص هذه الشبهة أنهم يقولون: إننا نقر بتوحيد الربوبية، ونعلم أنه لا نافع إلا الله ﷻ، ولكننا مذنبون نريد أن نتقرب إلى الله ﷻ، ولا سبيل لنا إلا أن نتقرب بجاه الأنبياء ومكانتهم عند الله سبحانه وتعالى.

قـولــه: «فجاوِبهُ بما تقدم، وهو أن الذين قاتَلَهم رسولُ الله ﷺ، مقرونَ بما ذكرتَ، ومقرونَ أن أوثانَهم لا تدبرُ شيئًا، وإنما أرادوا الجاهَ والشفاعةَ»: أي جاوب هذا المشرك بأن كلامه هذا هو حقيقة شرك الأولين، فالرسول ﷺ قاتل أناسا يقرون بما تقرُّ به، ويقرون بأن أوثانهم لا تدبر شيئا.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس:٣١].

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٥].

وإنما أرادوا من معبوداتهم الباطلة طلب الشفاعة، والقُربة من الله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر:٣] قربة، ومنزلة[1].

وقال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨].

قــولــه: «واقرأ عليه ما ذكرَ اللهُ في كتابِهِ ووضَّحَهُ»: أي اقرأ على هذا المشرك الآيات التي ذكرها الله ﷻ في شأن كفر من طلب الشفاعة، أو القربة من الله ﷻ بجاه أو مكانة الصالحين، ومنها:

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزُّمَر:٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الأحقاف:٥].



(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٢٥١).

ملخص الجواب عن هذه الشبهة:

١. أن مشركي قريش كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، وحقيقة شركهم أنهم كانوا يتقربون إلى الأصنام، والصالحين؛ لأجل أن تقربهم إلى الله ﷻ، مع علمهم أنها لا تنفع، ولا تضر من دون الله ﷻ.

٢. أن الرسول ﷺ قاتل كفار قريش؛ لأجل أنهم يتقربون إلى الله ﷻ بطلب الشفاعة، والقربة من الأصنام، والصالحين.

❑ ❑ ❑

[الشبهة الثانية]

[هناك فرق بينا وبين مشركي قريش، فنحن ندعوا الصالحين، ومشركو قريش يدعون الأصنام]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

فإن قال: إن هؤلاء الآيات نزلتْ فيمن يعبدُ الأصنامَ، كيفَ تجعلونَ الصالحينَ مثلَ الأصنام ؟

أم كيف تجعلونَ الأنبياءَ أصنامًا ؟

فجاوبْهُ بما تقدَمَ: فإنَهُ إذا أقرَ أن الكفارَ يشهدون بالربوبيةِ كلِّها لله، وأنهم ما أرادوا ممن قصدُوا إلا الشفاعة، ولكن إذا أراد أن يُفرقَ بين فعلِهم وفعلِه بما ذكر، فاذكرْ لهُ أن الكفارَ: منهم من يدعو الأصنامَ، ومنهم من يدعو الأولياءَ الذين قال الله فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ [الإسراء:٥٧].

ويدعون عيسى ابن مريم وأمَّهُ، وقد قال الله تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٦﴾ [المائدة:٧٥-٧٦].

واذكر له قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٤٠ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ٤١﴾ [سبأ:٤٠-٤١].



وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة:١١٦].

فقل له: أعرفتَ أن الله كفَّرَ من قصدَ الأصنام، وكفَّرَ أيضًا من قصد الصالحينَ، وقاتَلهم رسولُ الله.

الشـرح

قـولـه: «فإن قال: إن هؤلاء الآيات نزلتْ فيمن يعبدُ الأصنامَ، كيفَ تجعلونَ الصالحينَ مثلَ الأصنام ؟ أم كيف تجعلونَ الأنبياءَ أصنامًا ؟»: أي كيف تسوِّي بين الصالحين، والأنبياء، وبين الأصنام؟

وجاوب المصنف رحمه الله عن هذه الشبهة بجوابين.

قـولـه: «فجاوبْهُ بما تقدَمَ: فإنَهُ إذا أقرَ أن الكفارَ يشهدون بالربوبيةِ كلِّها لله، وأنهم ما أرادوا ممن قصدُوا إلا الشفاعة»: هذا الجواب الأول، وهو أن كفار قريش كانوا يقرون بالربوبية، وما أرادوا من معبوداتهم الباطلة إلا طلب الشفاعة.

قـولـه: «ولكن إذا أراد أن يُفرقَ بين فعلِهم وفعلِه بما ذكر، فاذكرْ لهُ أن الكفارَ: منهم من يدعو الأصنامَ، ومنهم من يدعو الأولياءَ»: هذا الجواب الثاني، وهو أن المشركين تنوعت معبوداتهم، فمنهم من يعبد الأصنام، ومنهم من يعبد الأولياء، والصالحين، ومع ذلك قاتلهم رسول الله ﷺ، ولم يفرق بينهم.

قـولـه: «الذين قال الله فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾»: أي هؤلاء الذين يدعونهم المشركون آلهة ويعبدونهم –وهم عيسى وأمه وعزير والملائكة، والشمس والقمر والنجوم- يطلبون إلى ربهم



الوسيلة، وهي القربة[١].

قـولـه: «ويدعون عيسى ابن مريم وأمَّه، وقد قال الله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾»: أي كيف يكون إلها من لا يقيمه إلا أكل الطعام؟ وذلك أن من أكل وشرب لا بد له من البول والغائط، ومَن هذه صفته كيف يكون إلها؟[٢].

قـولـه: «واذكر له قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾»: يخبر تعالى أنه يقرع المشركين يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يزعمون أنهم يعبدون الأنداد التي هي على صورة الملائكة ليقربوهم إلى الله زلفى، فيقول للملائكة: أنتم أمرتم هؤلاء بعبادتكم؟

فتقول الملائكة: تعاليت وتقدست ربنا عن أن يكون معك إله، فنحن عبيدك ونبرأ إليك من هؤلاء، بل كانوا يعبدون الشياطين؛ لأنهم هم الذين يزينون لهم عبادة الأوثان ويضلونهم[٣].

قـولـه: «وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٣/ ١٣٩).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٧٢).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٥٢٤).

كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾»: أي إذ قال الله لعيسى ﷺ يوم القيامة: يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟، وهذا توبيخا لقومه الذين عبدوه، وأمه، وليس استخبارا.

فيقول عيسى ﷺ: سبحانك ربنا، تنزيها لك وتعظيما ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك(١).

قــولـــه: «فقل له: أعرفتَ أن الله كفَّرَ من قصدَ الأصنام، وكفَّرَ أيضًا من قصد الصالحينَ، وقاتَلهم رسولُ الله»: أي لم يفرق الله ﷻ بين الذين يعبدون الأصنام، والذين يعبدون الأصنام في التكفير، وأمر رسوله ﷺ بقتالهم جميعا.

قال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة:٣٦].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى الله»(٢).

ملخص الجواب عن هذه الشبهة:

١. أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، والسبب في كفرهم هو أنهم طلبوا من معبوداتهم القربة، والشفاعة عند الله ﷻ.

٢. أن المشركين تنوعت معبوداتهم، فمنهم من يعبد الأصنام، ومنهم من يعبد

(١) انظر: تفسير البغوي (٢/ ١٠٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٠).





الأولياء، والصالحين، ولم يفرق النبي ﷺ في قتالهم جميعا.

فثبت بهذا أنه لا فرق بينكم، وبين مشركي قريش.

❑ ❑ ❑



[الشبهة الثالثة]

[نحن نطلب الشفاعة، وطلبها ليس شركا، والمشركون يطلبون جلب النفع ودفع الضر، وهذا هو الشرك]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

فإن قال: الكفارُ يريدونَ منهم، وأنا أشهد أن الله هو النافعُ الضارُ المدبرُ، لا أريدُ إلا منه، والصالحونَ ليسَ لهم من الأمر شيءٌ، ولكنْ أقصدُهُمُ أرجو من الله شفاعتَهم؛ فالجوابُ: أن هذا قولُ الكفارِ سواءً بسواءٍ؛ فاقرأ عليهِ قولَه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر:٣].

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨].

.... الشرح ....

قــولـــه: «فإن قال: الكفارُ يريدونَ منهم، وأنا أشهد أن الله هو النافعُ الضارُ المدبرُ، لا أريدُ إلا منه، والصالحونَ ليسَ لهم من الأمر شيءٌ ولكنْ أقصدُهُمُ أرجو من الله شفاعتَهم»: أي الكفار كانوا يطلبون من معبوداتهم جلب النفع، ودفع الضُّر، ونحن نعتقد أن الله هو النافع الضار المدبر، ولا نطلب النفع، ودفع الضر إلا من الله، والصالحون لا يستطيعون جلب النفع، ودفع الضر.

ولكن نقصدهم لأجل مكانتهم عند الله ﷻ، فنرجو من الله أن يشفع لنا بهم.

قــولـــه: «فالجوابُ: أن هذا قولُ الكفارِ سواءً بسواءٍ»: أي هذا ما ذكره هو نفس مقالة الكفار، فالكفار يعتقدون أن الله هو النافع الضار المدبر، ويعلمون أن أصنامهم لا حول لها، ولا قوة، وإنما يقصدون معبوداتهم لأجل طلب القربة والشفاعة.





قـولــه: «فاقرأ عليهِ قولَه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾»: أي اقرأ عليها هذه الآية التي فيها دليل قاطع على أن قوله هو قول المشركين سواء بسواء.

قـولــه: «وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾»: أي يشفعون لنا عند الله ﷻ بتقربنا إليهم.

ملخص الجواب عن هذه الشبهة:

- أن مقالتهم هذه هي مقالة المشركين، وحقيقة شركهم هي نفس حقيقة شرك المشركين.

❑ ❑ ❑



[هذه الشُّبة الثلاثة هي أكبر الشبه عند المشركين]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

واعلمْ أن هذهِ الشبهَ الثلاثَ هي أكبرُ ما عندَهُمْ، فإذا عرفتَ أن الله وضحَها لنا في كتابِهِ، وفهِمتها فهمًا جيدًا، فما بعدها أيسرُ منها.

.... الشـرح ....

قـولــه: «واعلمْ أن هذهِ الشبهَ الثلاثَ هي أكبرُ ما عندَهُمْ»: أي هذه الشبه الثلاثة هي أقوى شبهات المشركين، وهي:

الشبهة الأولى: نحن نسأل الله بجاه ومكانة الصالحين التي عند الله ﷻ.

الشبهة الثانية: هناك فرق بينا وبين مشركي قريش، فنحن ندعوا الصالحين، ومشركو قريش يدعون الأصنام.

الشبهة الثالثة: نحن نطلب الشفاعة، وطلبها ليس شركا، والمشركون يطلبون جلب النفع ودفع الضر، وهذا هو الشرك.

قـولــه: «فإذا عرفتَ أن الله وضحَها لنا في كتابِهِ، وفهِمتها فهمًا جيدًا، فما بعدها أيسرُ منها»: أي هذه الشبه الثلاثة وضحها الله ﷻ في كتابه الكريم، فمن فهمها فهما جيدا، واعتنى بها، سهُل عليه فهم ما بعدها من الشبه.





[الشبهة الرابعة]

[الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

فإن قال: أنا لا أعبدُ إلا الله، وهذا الالتجاءُ إليهِمْ، ودعاؤُهم ليس بعبادة.

فقلْ لهُ: أنت تُقرُّ أن الله فرضَ عليكَ إخلاصَ العبادةِ، وهو حقُّهُ عليكَ ؟ فإذا قال: نعم؛ فقلْ لهُ: بَيِّنْ لي هذا الذي فرضَ عليكَ، وهو إخلاصُ العبادة لله، وهو حقُّه عليك، فإنّه لا يعرفُ العبادةَ، ولا أنواعَها، فبينها له بقولك: قال الله تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥﴾ [الأعراف:٥٥].

فإذا أعلمتَهُ بهذا، فقل له: هل علمت هذا عبادة الله؟ فلا بد أن يقولَ: نعم، والدعاءُ مخُ العبادة؛ فقل لهُ: إذا أقررتَ أنها عبادةٌ، ودعوتَ اللهَ ليلًا ونهارًا، خوفًا وطمعًا، ثم دعوتَ في تلكَ الحاجةِ نبيًا، أو غيرَه، هل أشركتَ في عبادةِ الله غيرَه؟ فلا بد أن يقولَ: نعم، فقلْ لهُ: قال الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢﴾ [الكوثر:٢]، فإذا أطعتَ الله ونحرتَ له، هل هذه عبادةٌ ؟ فلا بد أن يقولَ: نعم؛ فقلْ لهُ: إذا نحرتَ لمخلوقٍ نبيٍ أو جني أو غيرِهما، هل أشركتَ في هذهِ العبادةِ غيرَ الله ؟ فلا بد أن يقر، ويقولَ: نعم.

وقلْ لهُ أيضًا: المشركونَ الذين نزلَ فيهمُ القرآن، هل كانوا يعبدون الملائكةَ والصالحين واللاتَ وغيرَ ذلكَ ؟ فلا بد أن يقول: نعم؛ فقلْ لهُ: وهل كانتْ عبادتُهم إياهُم إلا في الدعاء والذبحِ والالتجاءِ ونحو ذلك، وإلا فهُمْ مُقِرُّون أنهم عبيدهُ وتحتَ قهرِ الله، وأن الله هو الذي يُدبرُ الأمرَ، ولكنْ دعوهُم، والتجأوا إليهم للجاهِ والشفاعةِ، وهذا ظاهر جدًا.

الشـرح

قـولــه: «فإن قال: أنا لا أعبدُ إلا الله، وهذا الالتجاءُ إليهِمْ، ودعاؤُهم ليس بعبادة»: أي أنا لا أعبد إلا الله ﷻ، والتجائي إلى الصالحين، ودعائي لهم لا يسمى بعبادة.

وأجاب المصنف رحمه الله عن هذه الشبهة بجوابين.

قـولــه: «فقلْ لهُ أنت تُقرُّ أن الله فرضَ عليكَ إخلاصَ العبادةِ، وهو حقُّهُ عليكَ ؟ فإذا قال: نعم؛ فقلْ لهُ: بَيِّنْ لي هذا الذي فرضَ عليكَ، وهو إخلاصُ العبادة لله، وهو حقُّه عليك، فإنّه لا يعرفُ العبادةَ، ولا أنواعَها، فبينها له بقولك: قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ ، فإذا أعلمتَهُ بهذا، فقل له: هل علمت هذا عبادة الله؟ فلا بد أن يقولَ: نعم، والدعاءُ مخُ العبادة؛ فقل لهُ: إذا أقررتَ أنها عبادةٌ، ودعوتَ اللهَ ليلًا ونهارًا، خوفًا وطمعًا، ثم دعوتَ في تلكَ الحاجةِ نبيًا، أو غيرَه، هل أشركتَ في عبادةِ الله غيرَه ؟ فلا بد أن يقولَ: نعم، فقلْ لهُ: قال الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ ، فإذا أطعتَ الله، ونحرتَ له، هل هذه عبادةٌ ؟ فلا بد أن يقولَ: نعم؛ فقلْ لهُ: إذا نحرتَ لمخلوقٍ نبيٍ، أو جنيٍ أو غيرِهما، هل أشركتَ في هذهِ العبادةِ غيرَ الله ؟ فلا بد أن يقر، ويقولَ: نعم»: هذا الجواب الأول، ويتلخص في عدة نقاط:

الأولى: قل له: أن الله فرض عليك إخلاص العبادة له ﷻ، وهذا حق الله عليك، فلا بد أن يقول: نعم.

الثانية: قل له: وضِّح، وبين لي معنى العبادة التي فرضها الله عليك، وهي الإخلاص، فإنه لا يعرفها، ولا يعرف أنواعها.



الثالثة: بيِّن له معنى العبادة بذكرك قوله تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٥٥﴾ [الأعراف:٥٥]، فالله ﷻ أمرنا بدعائه في جميع أحوالنا.

الرابعة: إذا بينت له معنى العبادة، قل له: هل الدعاء عبادة لله ﷻ؟، فلا بد أن يقول: نعم، فالدعاء هو أساس العبادة.

الخامسة: قل له: إذا أقررت أن الدعاء عبادة، ودعوت الله ﷻ في جميع أحوالك خوفا من عذابه، وطمعا في جنته، ثم بعد ذلك دعوت غيره ﷻ نبيا أو وليا، فهل تشرك بهذا بالله ﷻ؟، فلابد أن يقول: نعم.

السادسة: اذكر له قول الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر:٢]، أي لا تصل، ولا تنحر لغير الله ﷻ، وقل له: إنك إذا أطعت الله، ونحرت له، فهل هذا عبادة؟ فلا بد أن يقول نعم.

السابعة: قل له: إذا نحرت لغير الله ﷻ، فهل تشرك بهذا بالله ﷻ؟، فلا بد أن يقرَّ، ويقول: نعم.

قــولــه: «وقلْ لهُ أيضًا: المشركونَ الذين نزلَ فيهمُ القرآن، هل كانوا يعبدون الملائكةَ والصالحين واللاتَ وغيرَ ذلكَ ؟ فلا بد أن يقول: نعم؛ فقلْ لهُ: وهل كانتْ عبادتُهم إياهُم إلا في الدعاء والذبحِ والالتجاءِ ونحو ذلك، وإلا فهُمْ مُقِرُّون أنهم عبيدهُ وتحتَ قهرِ الله، وأن الله هو الذي يُدبرُ الأمرَ، ولكنْ دعوهُم، والتجأوا إليهم للجاهِ والشفاعةِ، وهذا ظاهر جدًا»: هذا الجواب الثاني، **ويتلخص في عدة نقاط:**

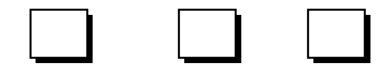
الأولى: أن تقول له: إن المشركين الذين نزل فيهم القرآن هل كانت عبادتهم متعددة، منهم من كان يعبد الملائكة، ومنهم من كان يعبد الصالحين، ومنهم من يعبد اللات، وغير ذلك؟ فلابد أن يقول: نعم.

الثانية: قل له: هل كانت عبادتهم في غير الدعاء، والذبح، والالتجاء، ونحوه؟، وإلا فهم مقرون بأنهم عبيد لله ﷻ، وأن الله يدبر الأمر، ولكنهم دعوهم، والتجأوا إليهم؛ لأجل مكانتهم عند الله ﷻ، ولأجل الشفاعة، وهذا لا إشكال فيه.

ملخص الجواب عن هذه الشبهة:

١. أن الله ﷻ فرض علينا عبادته، ومن صرف شيئا منها لغير الله ﷻ فقد أشرك بالله ﷻ.

٢. أن مشركي قريش كانت عبادتهم متفرقة، وكانوا يقرون بالربوبية، إلا أنهم دعوا معبوداتهم والتجأوا إليهم؛ لأجل الجاه، والشفاعة.







[الشبهة الخامسة]

[إنكار شفاعة الرسول ﷺ والصالحين إنكار لشفاعة الرسول ﷺ]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

فإن قالَ أتنكرُ شفاعةَ رسولِ الله ﷺ وتبرأُ منها ؟

فقل له: لا أُنكرها ولا أتبرأ منها، بل هو ﷺ الشافعُ المشفَّعُ، وأرجو شفاعَتَهُ، ولكن الشفاعةَ كلّها لله تعالى كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَر:٤٤].

ولا تكونُ إلا من بعد إذن الله كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]، ولا يُشفعُ في أحدٍ إلا من بعدِ أن يأذن الله فيهِ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]، وهو لا يرضى إلا التوحيدَ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٨٥].

فإذا كانت الشفاعةُ كلُها لله، ولا تكونُ إلا من بعد إذنه، ولا يشفعُ النبيُ ﷺ ولا غيرُهُ في أحدٍ حتى يأذن الله فيه، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد؛ تبين لك: أن الشفاعة كلَها لله، وأطلبُها منه فأقول: اللهم لا تحرمني شفاعتَه، اللهم شفّعه فيّ، وأمثال هذا.

.... الشرح ....

قــولـــه: «فإن قالَ أتنكرُ شفاعةَ رسولِ الله ﷺ وتبرأُ منها؟»: أي هل أنت تنكر شفاعة الرسول ﷺ، وتتبرأ منها؟

قــولـــه: «فقل له: لا أُنكرها، ولا أتبرأ منها، بل هو ﷺ الشافعُ المشفَّعُ، وأرجو شفاعَتَهُ، ولكن الشفاعةَ كلّها لله تعالى كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَر:٤٤]، ولا تكونُ إلا من بعد إذن الله كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ

إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]، ولا يُشفعُ في أحدٍ إلا من بعدِ أن يأذن الله فيهِ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]، وهو لا يرضى إلا التوحيدَ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٨٥]، فإذا كانت الشفاعةُ كلُها لله، ولا تكونُ إلا من بعد إذنه، ولا يشفعُ النبيُ ﷺ ولا غيرُهُ في أحدٍ حتى يأذن الله فيه، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد؛ تبين لك: أن الشفاعةَ كلَها لله، وأطلبُها منه فأقول: اللهم لا تحرمني شفاعتَه، اللهم شفِّعه فيّ، وأمثال هذا»: الجواب عن هذه الشبهة **يتلخص في أمرين**:

١. قل له: أنا لا أنكر شفاعة النبي ﷺ، ولا أتبرأ منها، بل النبي ﷺ هو الشافع المشفَّع يوم القيامة، وأنا أرجو شفاعته ﷺ.

ولكن الشفاعة كلها بأمر الله ﷻ، ولا تكون إلا بشرطين:

الشرط الأول: إذن الله ﷻ في الشفاعة.

الشرط الثاني: رضا الله ﷻ عن الشافع، والمشفوع، ولا يرضى الله ﷻ إلا لأهل التوحيد.

٢. إذا ثبت ما تقدم، فلا يجوز طلب الشفاعة إلا من الله ﷻ، فلا يجوز لأحد أن يقول: يا فلان اشفع لي، وإنما يجب أن يطلبها من الله ﷻ، بأن يقول: اللهم شفِّع فيَّ النبي ﷺ، أو غيره من الأنبياء، والصالحين.

ملخص الجواب عن هذه الشبهة:

إنكار طلب الشفاعة من النبي ﷺ، والصالحين في الدنيا لا يستلزم إنكارها في الآخرة؛ لأن الشفاعة لا تطلب إلا من الله ﷻ، ولا يجوز لأحد أن يقول: يا فلان اشفع لي، وإنما يجب أن تطلب من الله ﷻ بأن يقال: اللهم شفع في فلانا.



[الشبهة السادسة]

[النبي ﷺ أُعطي الشفاعة، وأنا أطلب منه مما أعطاه الله ﷻ]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

فإن قالَ: النبيُّ ﷺ أُعطي الشفاعةَ وأنا أطلُبُهُ مما أعطاه الله.

فالجوابُ: أن الله أعطاهُ الشفاعةَ ونهاكَ عن هذا، فقال: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الشعراء:٢١٣]، فإذا كنت تدعو الله أن يُشّفعَ نبيهُ فيكَ فأطعْهُ في قوله: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨].

وأيضًا: فإن الشفاعة أُعْطِيَها غيرُ النبي ﷺ ، فصحَ أن الملائكةَ يشفعونَ، والأفراطَ يشفعون، والأولياءَ يشفعونَ؛ أتقولُ: إن الله أعطاهمُ الشفاعةَ فأطلبُها منهم ؟!

فإن قلتَ هذا، رجعتَ إلى عبادةَ الصالحينَ التي ذكرها الله في كتابِه.

وإن قلتَ: لا، بطل قولُك: أعطاهُ الله الشفاعةَ وأنا أطلبُهُ مما أعطاه الله.

.... الشرح ....

قـولـه: «فإن قالَ: النبيُّ ﷺ أُعطي الشفاعةَ وأنا أطلْبُهُ مما أعطاه الله»: أي أن الله ﷻ أعطى الشفاعة للنبي ﷺ مِنْحةً منه ﷻ، وأنا أطلبها منه ﷺ؛ لأنه صاحبها ﷺ.

قـولـه: «فالجوابُ: أن الله أعطاهُ الشفاعةَ ونهاكَ عن هذا، فقال: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الشعراء:٢١٣]، فإذا كنت تدعو الله أن يُشّفعَ نبيهُ فيكَ فأطعْهُ في قوله: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾»: هذا الجواب الأول عن هذه الشبهة، وهو أن الله ﷻ أعطى النبي ﷺ الشفاعة، والنهى عن طلبها منه ﷺ، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الشعراء:٢١٣].

وإذا كنت تدعو الله ﷻ أن يشفِّع فيك النبي ﷺ، فأطعه في قوله ﷻ: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]، والشفاعة تدخل في مسمى الدعاء.

قــولــه: «وأيضًا: فإن الشفاعة أُعْطِيَها غيرُ النبي ﷺ ، فصحَ أن الملائكةَ يشفعونَ، والأفراطَ يشفعون، والأولياءَ يشفعونَ؛ أتقولُ: إن الله أعطاهمُ الشفاعةَ فأطلبُها منهم ؟! فإن قلتَ هذا، رجعتَ إلى عبادةَ الصالحينَ التي ذكرها الله في كتابِه، وإن قلتَ: لا، بطل قولُك: أعطاهُ الله الشفاعةَ وأنا أطلبُهُ مما أعطاه الله»: هذا الجواب الثاني عن هذه الشبهة، **ويتلخص في أمرين:**

١. أن الشفاعة أعطاها الله ﷻ لغير النبي ﷺ، فصح عن النبي ﷺ أن الملائكة يشفعون.

فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ ﷿: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ»[1].

وصح عنه ﷺ أن الأفراط، وهم الأطفال يشفعون.

فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنَ النَّاسِ مِنْ مُسْلِمٍ، يُتَوَفَّى لَهُ ثَلَاثٌ لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ[2]، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ»[3].

٢. هل يمكن أن تقول: إن الله ﷻ أعطاهم الشفاعة، وأنا أطلبها منهم؟

إن قلت: إنني أطلب الشفاعة من غير النبي ﷺ، فقد رجعت إلى عبادة الصالحين الذين كان يُتَقَرَّب إليهم لطلب الشفاعة منهم، كما قال ﷻ:

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٣).

(٢) لم يبلغوا الحنث: أي لم يبلغوا مبلغ الرجال، ويجري عليهم القلم فيكتب عليهم الحنث، وهو الإثم. [انظر: النهاية في غريب الحديث (١/ ٤٤٩)].

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٢٤٨)، ومسلم (٢٦٣٤).





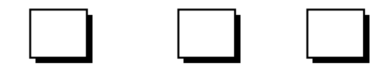
﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر:٣].

وإن قلت: لا أطلب الشفاعة من غير النبي ﷺ بطل قولك الذي ادعيتَه: أعطى الله الشفاعة النبي ﷺ، وأنا أطلبها منه.

ملخص الجواب عن هذه الشبهة:

١. أن الله ﷻ أعطى النبي ﷺ الشفاعة، ونهى ﷻ أن تُطلب من غيره ﷻ.

٢. أن الله ﷻ أعطى الشفاعة غير النبي ﷺ، كالملائكة، والأنبياء، والمؤمنين، والأطفال، ولا يمكن لأحد أن يقول: أنا أطلبها منهم، وإلا وقع في عبادة الصالحين.







[الشبهة السابعة]

[الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

فإن قالَ: أنا لا أشركُ بالله شيئًا، حشا وكلا، ولكنَّ الالتجاءَ إلى الصالحينَ ليس بشركٍ.

فقلْ لهُ: إذا كنتَ تُقرُّ أن الله حرمَ الشركَ أعظمَ من تحريم الزنا، وتقرُّ أن الله لا يغفره، فما هذا الذي حرمَهُ الله وذكرَ أنه لا يغفره ؟ فإنه لا يدري؛ فقل لهُ: كيف تُبَرِّئُ نفسك من الشركِ وأنتَ لا تعرِفُهُ ؟ أم كيف يُحرِّم عليك هذا ويذكرُ أنه لا يغفرهُ ولا تسألُ عنهُ ولا تعرفُه ؟

أتظنُ أن الله يُحرمُهُ ولا يبينه لنا ؟!!.

.... الشرح ....

قــولــه: «فإن قالَ: أنا لا أشركُ بالله شيئًا، حشا وكلا، ولكنَّ الالتجاءَ إلى الصالحينَ ليس بشركٍ»: أي أنا لا أشرك بالله شيئا؛ لأن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك.

قــولــه: «فقلْ لهُ: إذا كنتَ تُقرُّ أن الله حرمَ الشركَ أعظمَ من تحريم الزنا، وتقرُّ أن الله لا يغفره، فما هذا الذي حرمَهُ الله وذكرَ أنه لا يغفره؟ فإنه لا يدري؛ فقل لهُ: كيف تُبَرِّئُ نفسك من الشركِ وأنتَ لا تعرِفُهُ ؟ أم كيف يُحرِّم عليك هذا ويذكرُ أنه لا يغفرهُ ولا تسألُ عنهُ ولا تعرفُه ؟ أتظنُ أن الله يُحرمُهُ ولا يبينه لنا ؟!!»: هذا الجواب عن هذه الشبهة، ويتلخص في عدة نقاط:

١. قل له: أنت تقرُّ بأن الله ﷻ حرَّم الشرك أعظم من تحريم الزنا، وتقر بأن الله ﷻ لا يغفره، كما أخبر بذلك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء:٤٨].





٢. قل له: ما معنى الشرك الذي حرَّمه الله، وذكر أنه لا يغفره؟ فإنه لا يعرف.

٣. قل له: كيف تبرئ نفسك من الشرك، وأنت لا تعرف معناه؟ وكيف يحرم الله ﷻ عليك الشرك، ويخبر بأنه لا يغفره، وأنت لا تسأل عنه، ولا تعرفه؟؟

هل تظن أن الله حرمه، ولم يبينه، ويوضحه لنا؟؟!!، وهذا باطل.

ملخص الجواب عن هذه الشبهة:

١. إن الله ﷻ حرَّم الشرك، وأخبر أنه لا يغفره، فما معنى الشرك الذي حرمه الله؟ فإنه لا يدري.

٢. كيف تبرئ نفسك من شيء لا تعرفه؟، وكيف لا تسأل عن شيء حرمه الله عليك، وأخبر أنه لا يغفره؟





[الشبهة الثامنة]

[الشرك خاص عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

فإن قالَ: الشركُ عبادةُ الأصنامِ، ونحنُ لا نعبدُ الأصنامَ.

فقلْ لهُ: ما معنى عبادة الأصنامِ؟ أتظنُّ أنهم يعتقدونَ أن تلكَ الأحجارَ والأخشابَ تخلقُ وترزقُ وتدبرُ أمرَ من دعاها؟ فهذا يُكذبُهُ القرآنُ.

وإن قالَ: هو من قصدَ خشبةً أو حجرًا أو بُنْيَةً على قبرٍ أو غيرِه يدعونَ ذلك ويذبحونَ له ويقولونَ: إنهُ يُقربُنا إلى الله زلفى، ويدفعُ الله عنا ببركتِهِ، أو يعطينا ببركتِه.

فقلْ: صدقتَ، وهذا هو فعلُكم عند الأحجارِ والبِنَا التي على القبورِ وغيرِها؛ فهذا أقرَّ أن فعلَهم هذا هو عبادةُ الأصنامِ، وهو المطلوبُ.

ويُقالُ لهُ أيضًا: قولُكَ الشركُ عبادةُ الأصنامِ، هلْ مُرادُكَ أن الشركَ مخصوصٌ بهذا ؟ وأن الاعتمادَ على الصالحين ودعاءَهُم لا يدخلُ في ذلك، فهذا يردُّه ما ذكرَ الله في كتابِهِ من كفرِ من تعلقَ على الملائكةِ أو عيسى أو الصالحينَ، فلا بدَ أن يُقرَّ لكَ أن من أشركَ في عبادةِ الله أحدًا من الصالحين فهو الشركُ المذكورُ في القرآنِ، وهذا هو المطلوبُ.

وسرُّ المسألةِ: أنه إذا قالَ: أنا لا أشركُ باللهِ، فقلْ لهُ: وما الشركُ باللهِ ؟ فَسِّرْهُ لي:

فإن قال: هو عبادةُ الأصنامِ، فقل: وما معنى عبادةِ الأصنامِ ؟ فسّرها لي، فإن قال: أنا لا أعبدُ إلا الله، فقل: ما معنى عبادةِ الله؟ فسرها لي؛ فإن فسرها بما بينَهُ الله في القرآن فهو المطلوبُ، وإن لم يعرفْهُ فكيفَ يدّعي شيئًا وهو لا يعرفهُ ؟



وإن فَسَّرَ ذلك بغير معناه، بيَّنْتَ له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان، وأنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرونها علينا، ويصيحون فيه كما صاح إخوانهم حيث قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥].

الشرح

قولــه: «فإن قالَ: الشركُ عبادةُ الأصنامِ، ونحنُ لا نعبدُ الأصنامَ»: أي أن الشرك يقتصر على عبادة الأصنام فقط، وأنا لا نشرك بالله؛ لأنني لا نعبد الأصنام.

قولــه: «فقلْ لهُ: ما معنى عبادة الأصنامِ؟ أتظنُّ أنهم يعتقدونَ أن تلكَ الأحجارَ والأخشابَ تخلقُ وترزقُ وتدبرُ أمرَ من دعاها؟ فهذا يُكذبُهُ القرآنُ؛ وإن قالَ: هو من قصدَ خشبةً أو حجرًا أو بُنْيَةً على قبرٍ أو غيرِه يدعونَ ذلك ويذبحونَ له ويقولونَ: إنهُ يُقربُنا إلى الله زلفى، ويدفعُ الله عنا ببركتِهِ، أو يعطينا ببركتِه؛ فقلْ: صدقتَ، وهذا هو فعلُكم عند الأحجارِ والبِنَا التي على القبورِ وغيرِها؛ فهذا أقرَّ أن فعلَهم هذا هو عبادةُ الأصنامِ، وهو المطلوبُ»: هذا الجواب الأول عن هذه الشبهة، ويتلخص فيما يلي:

قل له: ما معنى عبادة الأصنام؟؛ لأنه لا يعرف حقيقة الشرك، **فلا تخلو إجابته من أحد جوابين:**

إما أن يقول: الأصنام تخلق، وترزق، وتدبر أمر من دعاها.

فإن قال هذا، فقل له: إن ما قلت يكذِّبه القرآن ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١﴾ [يونس: ٣١].

وإما أن يقول: الأصنام لها مكانة، وجاه عند الله جَلَّ جَلَالُهُ، فمن تقرَّب إليها بالذبح،

وغيره من أنواع العبادات، فإنها تقرِّبه إلى الله ﷻ، والله ﷻ هو الذي يعطي ببركته، وليس الأصنام.

فإن قال هذا، فقل له: صدقت، وهذا هو فعلكم عن الأحجار، والأضرحة.

وبهذا فهو يقرُّ بأن فعلهم عند الصالحين، والأضرحة هو عبادة الأصنام، وهذا هو المطلوب إثباته.

قــولـــه: «ويُقالُ لهُ أيضًا: قولُكَ الشركُ عبادةُ الأصنامِ، هلْ مُرادُكَ أن الشركَ مخصوصٌ بهذا ؟ وأن الاعتمادَ على الصالحين ودعاءَهُم لا يدخلُ في ذلك، فهذا يردُّه ما ذكرَ اللهُ في كتابهِ من كفرِ من تعلقَ على الملائكةِ أو عيسى أو الصالحينَ، فلا بدَ أن يُقرَّ لكَ أن من أشركَ في عبادةِ الله أحدًا من الصالحين فهو الشركُ المذكورُ في القرآنِ، وهذا هو المطلوبُ»: هذا الجواب الثاني عن هذه الشبهة، **ويتلخص في عدة نقاط**:

قل له: إن قولك الشرك عبادة الأصنام فقط يلزم منه أحد أمرين:

الأول: أن تقول: إن الشرك مخصوص بعبادة الأصنام، والالتجاء إلى الصالحين، ودعاؤهم لا يدخل في الشرك.

الثاني: أن تقرَّ بأن من أشرك بالله ﷻ أحدا من الصالحين، فهو مشرك، وهذا هو الشرك المذكور في القرآن.

والأول باطل؛ لأن الله ﷻ ذكر في كتابه أن من تعلق على الملائكة، أو عيسى عليه السلام، أو الصالحين كفر.

قال الله ﷻ: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٠].

والثاني هو المطلوب إثباته.

قــولـــه: «وسرُّ المسألةِ»: أي حقيقة المسألة، وهي الشبة الثامنة.





قــولــــه: «أنه إذا قالَ: أنا لا أشركُ باللهِ، فقلْ لهُ: وما الشركُ باللهِ؟ فسِّرْهُ لي: فإن قال: هو عبادةُ الأصنامِ، فقل: وما معنى عبادةِ الأصنامِ ؟ فسّرها لي، فإن قال: أنا لا أعبدُ إلا الله، فقل: ما معنى عبادةِ الله ؟ فسرها لي؛ فإن فسرها بما بينَهُ الله في القرآن فهو المطلوبُ، وإن لم يعرفْهُ فكيفَ يدَّعي شيئًا وهو لا يعرفهُ ؟، وإن فَسَّرَ ذلك بغير معناه، بيَّنْتَ له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله، وعبادة الأوثان، وأنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرونها علينا، ويصيحون فيه كما صاح إخوانهم حيث قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾»: أي من قال: لا أشرك بالله ﷻ شيئا، إذا سألته عن معنى الشرك، والعبادة، فلا يخلو من ثلاثة أجوبة:

الأول: أن يفسر الشرك، والعبادة بما فسره القرآن، وبينه، وهذا هو المطلوب.

الثاني: أن يقول: لا أدري، ويتوقف، وهذا يكفي في ردِّ شبهته، فكيفَ يدَّعي شيئًا وهو لا يعرفهُ ؟

الثالث: أن يفسر الشرك، والعبادة بغير معناهما، ويقول: الشرك هو عبادة الأصنام فقط، وهذا باطل رده الله ﷻ في كتابه كما تقدم.

وعليك أن تبين له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله ﷻ، وعبادة الأوثان، وأن ما يفعلونه اليوم هو بعين ما كان يفعله مشركو قريش، وأن عبادة الله ﷻ هي التي ينكرونها علينا، كما قالوا لما دعاهم النبي ﷺ أن يعبدوا إلها واحدا، ويفردوه بالعبادة: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص:٥].

ملخص الجواب عن هذه الشبهة:

١. معنى عبادة الأصنام لا يخلو من أحد معنيين:

المعنى الأول: أنها تخلق، وترزق، وتدبر، وهذا كذبه القرآن.



المعنى الثاني: أن لها مكانة عند الله ﷻ، فمن أراد الشفاعة، والقرب من الله، تقرب إليها بأنواع العبادات، وهذا هو حقيقة شركين الأولين.

٢. قوله الشرك عبادة الأصنام فقط يلزم منه أحد إلزامين:

الإلزام الأول: أن الشرك مخصوص بعبادة الأصنام فقط، وهذا باطل؛ لأن الله ﷻ أبطله.

الإلزام الثاني: أن تقر بأن من أشرك بالله أحدا من الصالحين، فهو داخل في الشرك الذي ذكره الله ﷻ في القرآن، وهذا هو المطلوب.

❑ ❑ ❑





[الشبهة: التاسعة]

[لا يكفر إلا من نسب الولد إلى الله ﷻ]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

فإن قالَ: إنهم لم يكفروا بدعاءِ الملائكةِ والأنبياءِ، وإنما كفروا لما قالوا: الملائكةُ بناتُ الله، ونحنُ لم نقل: إنّ عبدَ القادرِ ولا غيرَهُ ابن الله ؟

فالجواب: أن نسبة الولد إلى الله تعالى كفرٌ مستقلٌ؛ قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص: ١-٢].

والأحدُ: الذي لا نظيرَ لهُ، والصمدُ: المقصودُ في الحوائجِ؛ فمن جحدَ هذا كفر، ولو لم يجحدْ السورةِ.

وقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]، ففرق بين النوعين وجعل كلًّا منهما كفرًا مستقلًّا.

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، فَفَرَّقَ بين الكفرين.

والدليلُ على هذا أيضًا: أن الذين كفروا بدعاء اللات مع كونهِ رجلًا صالحًا لم يجعلوه ابن الله، والذين كفروا بعبادة الجنِّ لم يجعلوهُم كذلك.

وكذلك أيضًا: العلماءُ في جميع المذاهب الأربعة، يذكرونَ في «باب حكم المرتد» أن المسلم إذا زعمَ أن لله ولدًا فهو مرتدٌ، وإنْ أشركَ بالله فهو مرتدٌ، فيفرقون بين النوعينِ، وهذا في غاية الوضوح.

.... الشـرح ....



قـولــه: «فإن قالَ: إنهم لم يكفروا بدعاءِ الملائكةِ والأنبياءِ، وإنما كفروا لما قالوا: الملائكةُ بناتُ الله، ونحنُ لم نقل: إنّ عبدَ القادرِ ولا غيرَهُ ابن الله؟»: أي مشركو قريش لم يكفروا إلا بسبب نسبتهم الولد لله ﷻ، ونحن لا نقول: إن عبد القادر، أو غيره من الصالحين ابن الله.

قـولــه: «فالجواب: أن نسبة الولد إلى الله تعالى كفرٌ مستقلٌ؛ قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص:١-٢]، والأحدُ: الذي لا نظيرَ لهُ، والصمدُ: المقصودُ في الحوائجِ؛ فمن جحدَ هذا كفر، ولو لم يجحدْ السورةِ»: هذا الجواب الأول عن هذه الشبهة، وهو أن من جعل لله ﷻ ولدا، فمن لم يعتقد أن الله ليس له ولد فقد كفر.

قـولــه: «وقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون:٩١]، ففرق بين النوعين وجعل كلًّا منهما كفرًا مستقلًا، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٠]، فَفَرَّقَ بين الكفرين »: هذا الجواب الثاني عن هذه الشبهة، وهو أن الله ﷻ فرّق بين من اتخذ لله ولدا، وبين من جعل مع الله إلها آخر، وجعل كلا منهما كفرا مستقلا.

وذكر الله ﷻ في الآية الثانية سبب كفر المشركين، وهو:

- أنهم جعلوا له شركاء من الجن مع أن الله هو خالقهم.
- أنهم نسبوا إلى الله الولد بغير علم.

قـولــه: «والدليلُ على هذا أيضًا: أن الذين كفروا بدعاء اللات مع كونهِ رجلًا صالحًا لم يجعلوه ابن الله، والذين كفروا بعبادة الجنِّ لم يجعلوهُم كذلك»: هذا الجواب الثالث عن هذه الشبهة، وهو أن الذين كفروا بدعاء اللات مع كونهِ رجلًا صالحًا لم يجعلوه ابن الله، والذين كفروا بعبادة الجنِّ لم يجعلوهُم أبناء الله ﷻ.



قــولــه: «وكذلك أيضًا: العلماءُ في جميع المذاهب الأربعة، يذكرونَ في «باب حكم المرتد» أن المسلم إذا زعمَ أن لله ولدًا فهو مرتدٌ، وإنْ أشركَ باللهِ فهو مرتدٌ، فيفرقون بين النوعينِ، وهذا في غاية الوضوح»: هذا الجواب الرابع عن هذه الشبهة، وهو أن العلماء في جميع المذاهب يذكرون في كتبهم: باب حكم المرتد، ويذكرون فيه أنواع الردة، ومنها:

- أن من زعم لله ولدا فهو مرتد.
- أن من أشرك بالله ﷻ فهو مرتد.

ويفرقون بين هذين النوعين، وهذا واضح بيِّنٌ.

ملخص الجواب عن هذه الشبهة:

١. أن نسبة الولد إلى الله ﷻ كفر مستقل؛ لأمرين:

الأول: أن الله ﷻ وصف نفسه بأنه لا نظير له، ولا شريك له، ومن زعم غير ذلك كفر.

الثاني: أن الله ﷻ فرّق في كتابه بين من أشرك به، وبين من جعل له الولد.

٢. أن الذين كفروا بدعاء اللات، لم يجعلوه ابن الله، وكذلك من كفروا بعبادة الجن، لم يجعلوها أبناء الله.

٣. أن العلماء في كافة المذاهب يذكرون باب المرتد، ويذكرون فيه أنواع المرتد، ومنها: الشرك بالله نوع، ومن زعم أن لله ولدا نوع آخر، وكلاهما ردَّة عن الإسلام.

❑ ❑ ❑



[الشبهة العاشرة]

[أولياء الله لهم جاه عند الله ونحن نسأل الله بجاههم]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

وإن قال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾ [يونس:٦٢].

فقلْ: هذا هو الحقُ، ولكن لا يُعبدونَ، ونحنُ لا نُنكرُ إلا عبادتَهم مع الله، وإشراكهم معهُ، وإلا فالواجب عليك حُبهم وإتباعهم والإقرار بكراماتهم.

ولا يجحدُ كراماتِ الأولياءِ إلا أهلُ البدع والضلالاتِ، ودين الله وسط بين طرفين، وهدى بين ضلالتين، وحق بين باطلين

الشرح

قــولـــه: «وإن قال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾»: أي أن الأولياء والصالحين لهم مكانة عند الله ﷻ، ونحن نسأل الله ﷻ بهذه المكانة.

قــولـــه: «فقلْ: هذا هو الحقُ، ولكن لا يُعبدونَ، ونحنُ لا نُنكرُ إلا عبادتَهم مع الله، وإشراكهم معهُ، وإلا فالواجب عليك حُبهم وإتباعهم والإقرار بكراماتهم، ولا يجحدُ كراماتِ الأولياءِ إلا أهلُ البدع والضلالاتِ، ودين الله وسط بين طرفين، وهدى بين ضلالتين، وحق بين باطلين»: أي ما ذكره، وهو قوله ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾ [يونس:٦٢].

وليس معنى هذا أنهم يُعبدون مع الله ﷻ، ونحن لا ننكر إلا عبادتهم، وصرف العبادة إليهم، والواجب علينا أن نحبهم، ونتبعهم، ونقرُّ بكراماتهم.



ولا يجحد، وينكر كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلالات، وهم المعتزلة، والجهمية.

أما الصوفية، والقبورية فيغالون في إثبات الكرامات، ويجعلون ما ليس بكرامة كرامة.

وأما أهل السنة والجماعة، فهم وسط بين طرفين، هما أهل ضلال، وبطلان:

الطرف الأول: أهل التفريط، وهم هم المعتزلة، والجهمية.

الطرف الثاني: أهل الغلو، وهم الصوفية، والقبورية.

والكرامة: هي ظهور أمر خارق للعادة من قِبَل شخص غير مقارِن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقرونًا بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجًا، ويسمى شعوذة، وما يكون مقرونًا بدعوى النبوة يكون معجزة[(١)].

ومن الكرامات:

- أن زكريا عليه السلام كلما دخل على مريم وجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء[(٢)]، كما قال الله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [آل عمران:٣٧].
- قصة الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار، فلم يستطيعوا الخروج حتى ذكر كل واحد منهم عملا أخلصه لله جل جلاله[(٣)].
- أن العلاء الحضرمي رضي الله عنه مشى، وجيشه على الماء، فما ابتلت قَدمٌ، ولا خُفٌّ

(١) انظر: التعريفات، للشريف الجرجاني، صـ(١٨٤).

(٢) انظر: كرامات الأولياء، للالكائي، صـ(٧٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤٦٥)، ومسلم (٢٧٤٣)، من حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.



بعيرٍ، ولا حافرُ دابَّةٍ، وكان الجيش أربعة آلاف[١].

ولا تحصل الكرامة إلا بتحقق شرطين:

الشرط الأول: أن لا يدعي النبوة، فمن ادعى النبوة بعد النبي ﷺ فدعواه باطلة لا دليل عليها؛ وهو كافر بالإجماع[٢]؛ لأن النبي ﷺ هو خاتم الأنبياء، فعَنْ ثَوْبَانَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»[٣].

والكافر لا يكون أهلا للكرامة؛ لأنه عدو لله ﷻ.

الشرط الثاني: أن يكون ظاهره الصلاح والتقوى، فمن لم يكن صالحا تقيا، لم يكن أهلا للكرامة؛ لأن الله ﷻ اختص أولياءه بالكرامة.

والكرامة لزوم الاستقامة، ولم يكرم الله عبده بكرامة أعظم من موافقته فيما يحبه ويرضاه، وهو طاعته، وطاعة رسوله، وموالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه[٤].

قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس:٦٢-٦٣].

فائدة: الفرق بين المعجزة، والكرامة:

الفرق بين المعجزة، والكرامة أن المعجزة للنبي، والكرامة للولي.

إلا أنهما يجتمعان في أن كلا منهما يكون خارقا للعادة[٥].

---

(١) انظر: كرامات الأولياء، للالكائي، صـ(١٦٢).

(٢) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض (٢/ ٦٠٩-٦١٠).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢٢١٩)، وصححه، ووافقه الألباني.

(٤) انظر: التحفة العراقية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، صـ(٤٩).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية (١١/ ٣١١-٣١٢).





وذكر غير واحد من العلماء أن كرامات الأولياء معجزات للأنبياء؛ لأن الولي إنما نال ذلك ببركة متابعته لنبيه، وثواب إيمانه(١).

ملخص الجواب عن هذه الشبهة:

- أن للأولياء والصالحين مكانة عند الله ﷻ، وهذه المكانة لا تجوِّز لأحد أن يدعوهم من دون الله ﷻ.

❑ ❑ ❑



(١) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير (٩/ ٣٠٧).

[شرك الأولين أخف من شرك المتأخرين]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

فإذا عرفتَ أن هذا الذي يُسميهِ المشركونَ في زماننا «الاعتقادَ» هو الشركُ الذي أُنزلَ فيه القرآنُ، وقاتلَ رسولُ الله ﷺ الناس عليه، فاعلم أن شركَ الأولين أخفُّ من شرك أهلِ وقتِنا بأمرين:

أحدهما: أن الأولين لا يشركونَ ولا يدعونَ الملائكةَ أو الأولياءَ أو الأوثانَ مع الله إلا في الرخاء، وأما في الشدةِ فيُخلِصونَ الدينَ لله، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت:٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء:٦٧].

وقال تعالى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام:٤١].

وقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ [الزُّمَر:٨].

وقوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمان:٣٢].

فمن فهِمَ هذه المسألة التي وضحهَا الله في كتابِه؛ وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسولُ الله ﷺ يدعونَ الله، ويدعونَ غيرَهُ في الرخاء، وأما في الضراء والشدةِ فلا يدعونَ إلا اللهَ وحدهُ لا شريكَ له، وينسونَ سادَتهم، وتبينَ له الفرقُ بين شركِ أهلِ زمانِنا وشركِ الأولينَ، ولكن أين من يفهمُ قلبُهُ هذهِ المسألةِ فهمًا راسخًا ؟ والله



المستعانُ.

الأمر الثاني: أن الأولينَ يدعونَ مع الله أناسًا مُقربينَ عندَ الله؛ إما نبيًا وإما ملائكةً، أو يدعونَ أحجارًا، وأشجارًا مُطيعةً لله تعالى ليستْ بعاصيةٍ، وأهلُ زمانِنَا يدعونَ مع الله أناسًا من أفسق الناسِ، والذين يدعونَهُم هم الذين يحكونَ عنهم الفجور من الزنا، والسرقة، وتركِ الصلاةِ، وغير ذلك، والذي يعتقدُ في الصالحِ، والذي لا يعصي مثل الخشبِ والحجرِ أهونُ ممن يعتقدُ فيمن يُشاهدُ فسقُهُ وفسادُهُ ويشهدُ بِهِ.

إذا تحققتَ أن الذين قاتلَهُم رسولُ الله ﷺ أصحُّ عقولًا؛ وأخفُ شركًا من هؤلاء، فاعلمْ أن لهؤلاءِ شبهةً يورِدُونَهَا على ما ذكرنا وهي من أعظمِ شُبَهِهِمْ فأصغِ سمعكَ لجوابِهَا.

.... الشـرح ....

قـــولـــه: «فإذا عرفتَ أن هذا الذي يُسميهِ المشركونَ في زماننا «الاعتقادَ» هو الشركُ الذي أُنزلَ فيه القرآنُ، وقاتلَ رسولُ الله ﷺ الناس عليه، فاعلم أن شركَ الأولين أخفُّ من شرك أهلِ وقتِنا بأمرين .....»: أي إذا تبين لك حقيقة شرك أهل زماننا، وهو الشرك الذي أنزل الله فيه القرآن، وقاتل الرسول ﷺ المشركون عليه، فاعلم أن شرك مشركي قريش أخف من شرك مشرك أهل هذا الزمان بأمرين:

الأول: أن مشركي قريش كانوا يشركون في الرخاء فقط، ويخلصون العبادة لله ﷻ في الشدة، أما مشركو هذا الزمان، فشركهم دائم في الرخاء، والضراء.

الثاني: أن مشركي قريش يدعون أناسا مطيعين لله ليسوا بعاصين، أما مشركو هذا الزمان، فيدعون أناسا من أفسق الناس، وهم يحكون عنهم الفجور من الزنا، والسرقة، وترك الصلاة، ونحوه.

والمراد بالطاعة هنا: الطاعة الكونية التي لا يخرج عنها أحد.

ومن اعتقد في صالح، أو خشب، أو حجر لا يعصي أهون عند الله ممن يعتقد في فاسق يشاهد فسقه، وفساده.

قــولــه: «إذا تحققتَ أن الذين قاتلَهُم رسولُ الله ﷺ أصحُّ عقولًا؛ وأخفُ شركًا من هؤلاء»: لأنهم يلجؤون لله في الشدة.

قــولــه: «فاعلمْ أن لهؤلاءِ شبهةً يورِدُونَها على ما ذكرنا وهي من أعظمِ شُبَهِهِمْ فأصغِ سمعكَ لجوابِها»: هذا فيه حث على الاهتمام بالشبهة التالية؛ اعظمها.

❑ ❑ ❑



[الشبهة الحادية عشرة]

[كيف تجعلوننا مثل الكفار، ونحن موحدون، مصدقون بالقرآن، مؤمنون بالبعث، مؤدون للفرائض]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

وهي أنهمْ يقولونَ: إن الذين نزلَ فيهمُ القرآنُ لا يشهدونَ أن لا إله إلا الله، ويكذبونَ الرسولَ ﷺ، وينكرونَ البعثَ، ويكذبونَ القرآنَ ويجعلونَهُ سحرًا، ونحنُ نشهدُ أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول اللهُ، ونصدقُ القرآنَ، ونؤمنُ بالبعثِ، ونصلي ونصومُ، فكيفَ تجعلونَنا مثلَ أولئكَ؟

فالجواب: أنَهُ لا خلافَ بين العلماءِ كلِّهم أن الرجلَ إذا صدَّقَ رسولَ الله ﷺ في شيءٍ، وكذبَهُ في شيءٍ أنهُ كافرٌ لم يَدخلْ في الإسلامِ، وكذلكَ إذا آمنَ ببعضِ القرآنِ وجحدَ بعضهُ؛ كمنْ أقر بالتوحيدِ، وجحدَ وجوبَ الصلاةِ، أو أقرَ بالتوحيدِ والصلاةِ، وجحدَ وجوبَ الزكاةِ أو أقرَّ بهذا كلِّهِ وجحد وجوب الصومِ، أو أقرَ بهذا كله وجحدَ وجوب الحجِّ، ولما لم ينقدْ أناسٌ في زمن النبي ﷺ للحجِّ، أنزل الله في حقهم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران:٩٧]، ومن أقرَ بهذا كُلِّهِ وجحدَ البعثَ كفر بالإجماعِ، وحلَ دمُهُ ومالُهُ؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء:١٥٠-١٥١].

فإذا كان الله قدْ صرحَ في كتابهِ أن من آمن ببعض وكفر ببعض فهوَ الكافرُ حقاً

وأنهُ يستحقُ ما ذكر؛ زالت هذه الشبهة ، وهي التي ذكرهَا بعضُ أهلِ الأحساءِ في كتابهِ الذي أرسلَ إلينا.

ويقالُ أيضًا: إن كنتَ تقرُ أن من صدقَ الرسولَ في كلِ شيءٍ وجحدَ وجوبَ الصلاةِ، أنه كافرٌ حلالُ الدمِ بالإجماعِ، وكذلك إذا أقرَ بكلِ شيءٍ إلا البعثَ، وكذلكَ لو جحدَ وجوبَ صومِ رمضانَ، وصدق بذلك كله لا تختلف المذاهب فيه، وقدْ نطقَ به القرآن كما قدمنا؛ فمعلومٌ أن التوحيدَ هو أعظمُ فريضةٍ جاء بها النبي ﷺ وهو أعظمُ من الصلاةِ والزكاةِ والصومِ والحجِ، فكيفَ إذا جحدَ الإنسانُ شيئًا من هذهِ الأمورِ كفرَ، ولو عملَ بكلِ ما جاءَ به الرسولُ، وإذا جحدَ التوحيدَ الذي هو دينُ الرسلِ كلِهم لا يكفرُ ؟! سبحانَ الله ! ما أعجبَ هذا الجهلَ !!

ويقالُ: أيضًا هؤلاء أصحابُ رسولِ الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة، وقد أسلموا مع النبي ﷺ، وهم يشهدونَ أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسولُ الله، ويؤذنونَ، ويصلونَ.

فإن قالَ: إنهمْ يقولونَ: إن مسيلمة نبيٌ، قلنا: هذا هو المطلوبُ؛ إذا كان من رفعَ رجلًا إلى رتبةِ النبيِ ﷺ كفرَ، وحلَ مالُه ودمُه، ولم تنفعه الشهادَتانِ، ولا الصلاةُ، فكيفَ بمن رفعَ شمسانَ أو يوسفَ، أو صحابيًا، أو نبيًا، إلى مرتبة جبارِ السمواتِ والأرضِ ؟! سبحان الله ما أعظمَ شأنَهُ ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠١﴾ [الأعراف: ١٠١].

ويقالُ أيضًا: الذين حرقهُمْ عليُّ بن أبي طالبٍ بالنار، كلُهم يدَّعون الإسلامَ، وهم من أصحابِ علي ﷺ، وتعلموا العلمَ من الصحابةِ، ولكن اعتقدوا في عليٍّ مثلَ الاعتقادِ في يوسفَ وشمسانَ وأمثالها، فكيفَ أجمعَ الصحابةُ على قتلِهم وكفرِهم؟ أتظنونَ أن الصحابةَ يكفرونَ المسلمينَ ؟ أم تظنونَ أن الاعتقادَ في تاجٍ وأمثالِه لا يضرُّ، والاعتقادَ في عليٍ بن أبي طالبٍ يُكفرُ ؟



ويقالُ: أيضًا: بنو عبيد القداحِ الذي ملكوا المغربَ ومصرَ في زمانِ بني العباسِ، كلُّهم يشهدونَ أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسولُ الله ويدّعونَ الإسلامَ ويصلون الجمعةَ والجماعةَ؛ فلما اظهروا مخالفةَ الشريعةِ في أشياءَ دون ما نحنُ فيهِ، أجمعَ العلماءُ على كفرِهمْ وقتالِهم، وأن بلادَهم بلادُ حربٍ، وغزاهُمُ المسلمونَ حتى استنقذوا ما بأيديهمْ من بلدانِ المسلمينَ.

ويقالُ أيضًا: إذا كان الأولونَ لم يكفروا إلا لأنهم جمعوا بينَ الشركِ وتكذيبَ الرسولِ والقرآن، وإنكار البعثِ، وغير ذلكَ، فما معنى البابِ الذي ذكرَ العلماءُ في كلّ مذهب «باب حكم المرتد»، وهو المسلمُ الذي يكفرُ بعد إسلامِهِ ؟ ثم ذكروا أنواعًا؛ كلُّ نوع منها يُكَفِّرُ ويحلُّ دمَ الرجلِ ومالَه، حتى إنهم ذكروا أشياءَ يسيرةً عند من فعلها؛ مثلَ كلمةٍ يذكرُها بلسانِه دون قلبِه، أو كلمةِ يذكرُها على وجهِ المزاحِ واللعبِ.

ويقالُ أيضًا: الذين قالَ الله فيهمْ: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ ﴾ [التوبة:٧٤] أما سمعتَ الله كفرَهم بكلمة مع كونهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم يُجاهدون معَه، ويُصلونَ معه، ويزكونَ، ويحجونَ، ويوحدونَ ؟!، وكذلكَ الذين قالَ الله فيهم: ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦]، فهؤلاءِ الذين صرح الله أنهم كفروا بعدَ إيمانهم، وهم مع رسولِ الله ﷺ في غزوةِ تبوكَ، قالوا كلمةً ذكروا أنهم قالوها على وجهِ المزاحِ، فتأملْ هذهِ الشبهةِ؛ وهي قولُهم: تُكفرونَ من المسلمينَ أناسًا يشهدونَ أن لا إله إلا الله ويصلونَ، ويصومونَ، ثم تأملْ جوابَها؛ فإنهُ من أنفعِ ما في هذه الأوراقِ.



ومن الدليلِ على ذلكَ أيضًا: ما حكى الله عن بني إسرائيلَ مع إسلامِهم وعلمِهم، وصلاحِهم أنهم قالوا لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨]، وقول أناسٍ من الصحابةِ: «اجْعَلْ لَنا ذَاتَ أَنْوَاطٍ»[(١)]، فحلفَ رسول الله ﷺ أن هذا مثلُ قولِ بني إسرائيلَ ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾ [الأعراف:١٣٨].

.... الشـرح ....

قــولـــه: «وهي أنهمْ يقولونَ: إن الذين نزلَ فيهمُ القرآنُ لا يشهدونَ أن لا إله إلا الله، ويكذبونَ الرسولَ ﷺ، وينكرونَ البعثَ، ويكذبونَ القرآنَ ويجعلونَهُ سحرًا، ونحنُ نشهدُ أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول اللهُ، ونصدقُ القرآنَ، ونؤمنُ بالبعثِ، ونصلي ونصومُ، فكيفَ تجعلونَنا مثلَ أولئكَ؟»: أي كيف تجعلوننا مثل الكفار الذين نزل فيهم القرآن، وهم لا يشهدون أن لا إله إلا الله، ويكذبون الرسولﷺ ، وينكرونَ البعثَ، ويكذبونَ القرآنَ ويجعلونَهُ سحرًا، ونحنُ نشهدُ أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول اللهُ، ونصدقُ القرآنَ، ونؤمنُ بالبعثِ، ونصلي ونصومُ؟.

وهذه الشبهة أرسلها إلى المصنف رحمه الله بعض أهل الأحساء.

وقد أجاب المصنف رحمه الله عن هذه الشبهة بثمانية أجوبة.

قــولـــه: «فالجواب: أنَهُ لا خلافَ بين العلماءِ كلِّهم أن الرجلَ إذا صدَّقَ رسولَ الله ﷺ في شيءٍ، وكذبَهُ في شيءٍ أنهُ كافرٌ لم يَدخلْ في الإسلامِ، وكذلكَ إذا آمنَ ببعضِ القرآنِ وجحدَ بعضهُ؛ كمنْ أقر بالتوحيدِ، وجحدَ وجوبَ الصلاةِ، أو أقرَ بالتوحيدِ والصلاةِ، وجحدَ وجوبَ الزكاةِ أو أقرَّ بهذا كلِّهِ وجحد وجوب الصومِ،

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢١٨٠)، وقال حسن صحيح، والنسائي في الكبرى (١١١٢١)، وأحمد (٢١٨٩٧)، وصححه الألباني.





أو أقرَ بهذا كله وجحدَ وجوب الحجِّ، ولما لم ينقدْ أناسٌ في زمن النبي ﷺ للحجِّ، أنزل الله في حقهم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران:٩٧][1]، ومن أقرَ بهذا كُلِّهِ وجحدَ البعثَ كفر بالإجماعِ، وحلَ دمُهُ ومالُهُ؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء:١٥٠-١٥١]، فإذا كان الله قدْ صرحَ في كتابهِ أن من آمن ببعض وكفر ببعض فهوَ الكافرُ حقاَ وأنهُ يستحقُ ما ذكر؛ زالت هذه الشبهة ، وهي التي ذكرهَا بعضُ أهلِ الأحساءِ في كتابهِ الذي أرسلَ إلينا»: هذا **الجواب الأول** عن هذه الشبهة، وهو أن العلماء أجمعوا على أن من صدَّق الرسول ﷺ في شيء، وكذَّبه في شيء، فهو كافر لم يدخل في الإسلام.

وكذلك من آمن ببعض القرآن، وكفر ببعض، فهو كافر، بل من أقرَّ بجميع الدين، وكفر بفريضة واحدة كالصلاة، أو الصوم، أو البعث، ونحوه، فهو كافر بالإجماع، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء:١٥٠-١٥١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: اتفق الصحابة رضي الله عنهم، وأئمة الإسلام أن من جحد وجوب بعض الواجبات الظاهرة المتواترة: كالصلوات الخمس، وصيام شهر



(١) هذا ليس عليه دليل.

رمضان، وحج البيت العتيق، أو جحد تحريم بعض المحرمات الظاهرة المتواترة: كالفواحش، والظلم، والخمر، والميسر، والزنا، وغير ذلك، أو جحد حل بعض المباحات الظاهرة المتواترة: كالخبز، واللحم، والنكاح، فهو كافر مرتد يستتاب، فإن تاب وإلا قتل(١).

قــولــه: «ويقالُ أيضًا: إن كنتَ تقرُّ أن من صدقَ الرسولَ في كلِ شيءٍ وجحدَ وجوبَ الصلاةِ، أنه كافرٌ حلالُ الدمِ بالإجماعِ، وكذلك إذا أقرَ بكلِ شيءٍ إلا البعثَ، وكذلكَ لو جحدَ وجوبَ صومِ رمضانَ، وصدق بذلك كله لا تختلف المذاهب فيه، وقدْ نطقَ به القرآن كما قدمنا؛ فمعلومٌ أن التوحيدَ هو أعظمُ فريضةٍ جاء بها النبي ﷺ وهو أعظمُ من الصلاةِ والزكاةِ والصومِ والحجِ، فكيفَ إذا جحدَ الإنسانُ شيئًا من هذهِ الأمورِ كفرَ، ولو عملَ بكلِ ما جاءَ به الرسولُ، وإذا جحدَ التوحيدَ الذي هو دينُ الرسلِ كلِهم لا يكفرُ ؟! سبحانَ الله ! ما أعجبَ هذا الجهلَ !!»: هذا **الجواب الثاني** عن هذه الشبهة، وهو أن التوحيد أعظم الفرائض، وهو أعظم من الصلاة، والصوم، والحج، فكيف يكفر من جحد أحد هذه الفرائض، ولا يكفر من جحد الصلاة؟!، وهذا في غاية العجب.

قــولــه: «ويقالُ: أيضًا هؤلاء أصحابُ رسولِ الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة، وقد أسلموا مع النبي ﷺ، وهم يشهدونَ أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسولُ الله، ويؤذنونَ، ويصلونَ، فإن قالَ: إنهمْ يقولونَ: إن مسيلمة نبيٌّ، قلنا: هذا هو المطلوبُ؛ إذا كان من رفعَ رجلًا إلى رتبةِ النبيِ ﷺ كفرَ، وحلَ مالُه ودمُه، ولم تنفعه الشهادَتانِ، ولا الصلاةُ، فكيفَ بمن رفعَ شمسانَ أو يوسفَ، أو صحابيًا، أو نبيًا، إلى مرتبة جبارِ السمواتِ والأرضِ؟! سبحان الله ما أعظمَ شأنَهُ ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٤٠٩).





ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾»: هذا **الجواب الثالث** عن هذه الشبهة، وهو أن الصحابة ﷺ قاتلوا بني حنيفية، واستحلوا دماءهم مع أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسولُ الله، ويؤذنونَ، ويصلونَ؛ لأنهم جحدوا بعض الفرائض.

فإن قيل: إن بني حنيفة كفروا؛ لأجل أنهم اعتقدوا في مسيلمة النبوة.

أجيب: بأن من رفع رجلا إلى درجة النبوة كفر، فكيف بمن رفع رجلا كيوسف، وشمسان، أو صحابيا، أو نبيا إلى مرتبة جبار السماوات والأرض ﷻ.

قـــولـــه: «ويقالُ أيضًا: الذين حرقهُمْ عليُّ بن أبي طالبٍ بالنار، كلُهم يدَّعون الإسلامَ، وهم من أصحابِ علي ﷺ، وتعلموا العلمَ من الصحابةِ، ولكن اعتقدوا في عليٍّ مثلَ الاعتقادِ في يوسفَ وشمسانَ وأمثالها، فكيفَ أجمعَ الصحابةُ على قتلِهم وكفرِهم؟ أتظنونَ أن الصحابةَ يكفرونَ المسلمينَ ؟ أم تظنونَ أن الاعتقادَ في تاجٍ وأمثالِه لا يضرُّ، والاعتقادَ في عليٍ بن أبي طالبٍ يُكفرُ ؟»: هذا **الجواب الرابع** عن هذه الشبهة، وهو أن الصحابة ﷺ أجمعوا على تكفير، وقتل من اعتقد في علي ﷺ الألوهية، وهم يدعون الإسلام، فكيف بمن اعتقد في رجل دون علي ﷺ كيوسف، وشمسان، وأمثالها؟!

فهل الصحابة يكفرون المسلمين؟

وهل الاعتقاد في علي ﷺ يضر، والاعتقاد في غيره لا يضر؟

قـــولـــه: «ويقالُ: أيضًا: بنو عبيدٍ القداحِ الذي ملكوا المغربَ ومصرَ في زمانِ بني العباسِ، كلُّهم يشهدونَ أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسولُ الله ويدّعونَ الإسلامَ ويصلون الجمعةَ والجماعةَ؛ فلما اظهروا مخالفةَ الشريعةِ في أشياءَ دون ما نحنُ فيهِ، أجمعَ العلماءُ على كفرِهمْ وقتالِهم، وأن بلادَهم بلادُ حربٍ، وغزاهُمُ المسلمونَ حتى استنقذوا ما بأيديهمْ من بلدانِ المسلمينَ»: هذا **الجواب الخامس** عن هذه

الشبهة، وهو أن العلماء أجمعوا على تكفير، وقتل بني عبيد، وهم المنسوبون إلى الفاطميين، مع أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسولُ الله ويدّعونَ الإسلامَ ويصلون الجمعةَ والجماعةَ؛ لأنهم جحدوا بعض الفرائض.

قال يوسف الرُّعَيْنيّ: «أجمع العلماء بالقَيْروان على أنّ حال بني عُبَيْد حال المرتدّين والزّنادقة، لما أظهروا مِن خلاف الشّريعة»[1].

قــولـــه: «ويقالُ أيضًا: إذا كان الأولونَ لم يكفروا إلا لأنهم جمعوا بينَ الشركِ وتكذيبَ الرسولِ والقرآن، وإنكار البعثِ، وغير ذلكَ، فما معنى البابِ الذي ذكرَ العلماءُ في كلّ مذهب «باب حكم المرتد»، وهو المسلمُ الذي يكفرُ بعد إسلامِهِ ؟ ثم ذكروا أنواعًا؛ كلُّ نوع منها يُكَفِّرُ ويحلُّ دمَ الرجلِ ومالَه، حتى إنهم ذكروا أشياءَ يسيرةً عند من فعلها؛ مثلَ كلمةٍ يذكرُها بلسانِه دون قلبِه، أو كلمةٍ يذكرُها على وجهِ المزاحِ واللعبِ»: هذا **الجواب السادس** عن هذه الشبهة، وهو أنه لا يشترط في التكفير فعل جميع المكفرات، بل من فعل منها شيئا كفر، ولهذا ذكر العلماء في باب «حكم المرتد» أنواع المكفرات، وأن من فعل نوعا منها كفر.

ومن ذلك قد يتكلم بالكلمة عن قصد، أو يذكرها على وجه المزاح واللعب فيكفر.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ»[2].

قــولـــه: «ويقالُ أيضًا: الذين قالَ الله فيهمْ: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ ﴾ [التوبة: ٧٤] أما سمعتَ الله كفرَهم بكلمة

(١) انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٢٨/ ٥١٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨).





مع كونهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم يُجاهدون معَه، ويُصلونَ معه، ويزكونَ، ويحجونَ، ويوحدونَ ؟!، وكذلكَ الذين قالَ الله فيهم: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة:٦٥-٦٦]، فهؤلاءِ الذين صرحَ الله أنهم كفروا بعدَ إيمانهم، وهم مع رسولِ الله ﷺ في غزوةِ تبوكَ، قالوا كلمةً ذكروا أنهم قالوها على وجهِ المزاحِ، فتأملْ هذهِ الشبهةِ؛ وهي قولُهم: تُكفرونَ من المسلمينَ أناسًا يشهدونَ أن لا إله إلا الله ويصلونَ، ويصومونَ، ثم تأملْ جوابَها؛ فإنهُ من أنفعِ ما في هذه الأوراقِ»: هذا **الجواب السابع** عن هذه الشبهة، وهو أن الله ﷻ كفّر من استهزأ به، أو برسوله ﷺ، أو بالقرآن، أو بأصحاب الرسول ﷺ مع كونهم يجاهدون مع النبي ﷺ، ويصلون معه، ويؤدون سائر الفرائض.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

فتدبر هذه الشبهة، وجوابها، فإنها أنفع ما في هذا الكتاب.

قـولـه: «ومن الدليلِ على ذلكَ أيضًا: ما حكى الله عن بني إسرائيلَ مع إسلامِهم وعلمِهم، وصلاحِهم أنهم قالوا لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨]، وقول أناسٍ من الصحابةِ: «اجْعَلْ لنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ»، فحلفَ رسول الله ﷺ أن هذا مثلُ قولِ بني إسرائيلَ ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾»: هذا **الجواب الثامن** عن هذه الشبهة، وهو أن النبي ﷺ شبَّه الذين قالوا: اجعل لنا شجرة نتبرك بها بقوم موسى عليه السلام الذين قالوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨].

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سُبْحَانَ اللهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨]، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»[1].

ذات أنواط: هي اسم شجرة بعينها كانت للمشركين ينوطون بها سلاحهم: أي يعلقونه بها، ويعكفون حولها، فسألوه أن يجعل لهم مثلها، فنهاهم عن ذلك.

وأنواط: جمع نوط، وهو مصدر سمي به المنوط[2].

ملخص الجواب عن هذه الشبهة:

١. أجمع العلماء على أن من صدَّق الرسول ﷺ في شيء، وكذَّبه في شيء، فهو كافر لم يدخل في الإسلام، ومن أقرَّ بجميع الدين، وكفر بفريضة واحدة كالصلاة، أو الصوم، أو البعث، ونحوه، فهو كافر بالإجماع.

٢. التوحيد أعظم الفرائض، وهو أعظم من الصلاة، والصوم، والحج، فكيف يكفر من جحد أحد هذه الفرائض، ولا يكفر من جحد الصلاة؟!، وهذا في غاية العجب.

٣. قاتل الصحابة ﷺ بني حنيفة، واستحلوا دماءهم مع أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسولُ الله، ويؤذنونَ، ويصلونَ؛ لأنهم جحدوا بعض الفرائض.

٤. أجمع الصحابة ﷺ أجمعوا على تكفير، وقتل من اعتقد في علي ﷺ الألوهية،

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢١٨٠)، وقال حسن صحيح، والنسائي في الكبرى (١١١٢١)، وأحمد (٢١٨٩٧)، وصححه الألباني.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ١٢٨).



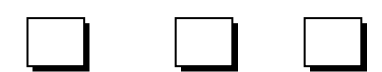
وهم يدعون الإسلام، فكيف بمن اعتقد في رجل دون علي رضي الله عنه كيوسف، وشمسان، وأمثالهما؟!

٥. أجمع العلماء على تكفير، وقتل بني عبيد، وهم المنسوبون إلى الفاطميين، مع أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسولُ الله ويدّعونَ الإسلامَ ويصلون الجمعةَ والجماعةَ؛ لأنهم جحدوا بعض الفرائض.

٦. لا يشترط في التكفير فعل جميع المكفرات، بل من فعل منها شيئا كفر، ولهذا ذكر العلماء في باب «حكم المرتد» أنواع المكفرات، وأن من فعل نوعا منها كفر.

٧. كفَّر الله جل جلاله من استهزأ به، أو برسوله ﷺ، أو بالقرآن، أو بأصحاب الرسول ﷺ مع كونهم يجاهدون مع النبي ﷺ، ويصلون معه، ويؤدون سائر الفرائض.

٨. شبَّه النبي ﷺ الذين قالوا: اجعل لنا شجرة نتبرك بها بقوم موسى عليه السلام الذين قالوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨].





[الشبهة الثانية عشرة]

[أصحاب موسى عليه السلام، وأصحاب الرسول ﷺ لم يكفروا بذلك]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

ولكنْ للمشركين شبهةٌ يُدلونَ بها عندَ هذه القصةِ؛ وهيَ أنهم يقولونَ: إن بني إسرائيلَ لم يكفروا بذلكَ، وكذلكَ الذينَ سألوا النبي ﷺ «أن يجعلَ لهمْ ذاتَ أنواطٍ»[1].

فالجوابُ أن نقولَ: إن بني إسرائيلَ لمْ يفعلوا، وكذلكَ الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا ذلك، ولا خلافَ أن بني إسرائيلَ لو فعلوا ذلكَ لكفروا؛ وكذلك لا خلافَ في أن الذين نهاهُم النبيُّ ﷺ لو لم يطيعوهُ، واتخذوا ذاتَ أنواطٍ بعدَ نهيِه لكفروا؛ وهذا هو المطلوبُ.

ولكنَ هذهِ القصةَ تفيدُ: أن المسلمَ بل العالمَ قد يقعُ في أنواعٍ من الشركِ، وهو لا يدري عنها.

فتفيدُ: التعلمَ والتحرزَ، ومعرفةَ أن قولَ الجاهلِ: التوحيدَ فهمناهُ، أن هذا من أكبرِ الجهلِ ومكائدِ الشيطانِ، وتفيدُ أيضًا: أن المسلمَ المجتهدَ إذا تكلمَ بكلامِ كُفْرٍ، وهو لا يدري فنبِّه على ذلك فتابَ من ساعتِه أنه لا يكفرُ كما فعلَ بنو إسرائيلَ، والذين سألوا رسولَ الله ﷺ.

وتفيدُ أيضًا: أنه لو لم يكفرْ، فإنهُ يُغَلظُ عليهِ الكلامُ تغليظًا شديدًا، كما فعل رسولُ الله ﷺ.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢١٨٠)، وقال حسن صحيح، والنسائي في الكبرى (١١١٢١)، وأحمد (٢١٨٩٧)، وصححه الألباني.



الشـرح

قــولــه: «ولكنْ للمشركين شبهةٌ يُدلونَ بها عندَ هذه القصةِ؛ وهيَ أنهم يقولونَ: إن بني إسرائيلَ لم يكفروا بذلكَ، وكذلكَ الذينَ سألوا النبي ﷺ«أن يجعلَ لهمْ ذاتَ أنواطٍ»»: أي المشركون لهم شبهة على قصة ذات أنواط المتقدمة، وهي أن قوم موسى عليه السلام لم يكفروا بطلبهم ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨]، وكذلك أصحاب الرسول ﷺ لم يكفروا بطلبهم: «اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط»، فلم يؤمروا بتجديد دينهم، فكيف تكفِّرون بها؟.

قــولــه: «فالجوابُ أن نقولَ: إن بني إسرائيلَ لمْ يفعلوا، وكذلكَ الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا ذلك، ولا خلافَ أن بني إسرائيلَ لو فعلوا ذلكَ لكفروا؛ وكذلك لا خلافَ في أن الذين نهاهُم النبيُّ ﷺ لو لم يطيعوهُ، واتخذوا ذاتَ أنواطٍ بعدَ نهيِه لكفروا؛ وهذا هو المطلوبُ»: أي الجواب عن هذه الشبهة أن بني اسرائيل لم يفعلوا ما طلبوه، وكذلك أصحاب الرسول ﷺ لم يفعلوا ما طلبوه، ولا خلاف في أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا، وكذلك لا خلاف في أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه، واتخذوا ذات أنواط لكفروا.

قــولــه: «ولكنَ هذهِ القصةَ تفيدُ: أن المسلمَ بل العالمَ قد يقعُ في أنواعٍ من الشركِ، وهو لا يدري عنها، فتفيدُ: التعلمَ والتحرزَ، ومعرفةَ أن قولَ الجاهلِ: التوحيدَ فهمناهُ، أن هذا من أكبرِ الجهلِ ومكائدِ الشيطانِ، وتفيدُ أيضًا: أن المسلمَ المجتهدَ إذا تكلمَ بكلامِ كُفْرٍ، وهو لا يدري فنبِّه على ذلك فتابَ من ساعتِه أنه لا يكفرُ كما فعلَ بنو إسرائيلَ، والذين سألوا رسولَ الله ﷺ، وتفيدُ أيضًا: أنه لو لم يكفرْ، فإنهُ يُغَلظُ عليهِ الكلامُ تغليظًا شديدًا، كما فعل رسولُ الله ﷺ»: أي في قصة ذات أنواط خمس فوائد، وهي:

١. قد يقع المسلم في الشرك، وهو لا يدري.

٢. ينبغي للمسلم أن يتعلم سبل النجاة.

٣. من أكبر الجهل أن يقال: التوحيد فهمنا، فلا حاجة لتدريسه.

٤. المسلم إذا قال كلمة الكفر، وهو لا يدري، فنُبِّه على ذلك، فتاب من ساعته، فلا يكفر.

قال ابن حزم: «لا خلاف في أن امرأ لو أسلم، ولم يعلم شرائع الإسلام فاعتقد أن الخمر حلال، وأن ليس على الإنسان صلاة، وهو لم يبلغه حكم الله تعالى لم يكن كافرا بلا خلاف يعتد به، حتى إذا قامت عليه الحجة، فتمادى حينئذ بإجماع الأمة فهو كافر»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لكن من الناس من يكون جاهلا ببعض هذه الأحكام جهلا يعذر به فلا يحكم بكفر أحد حتى تقوم عليه الحجة من جهة بلاغ الرسالة كما قال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ١٥﴾ [الإسراء:١٥]، ولهذا لو أسلم رجل ولم يعلم أن الصلاة واجبة عليه؛ أو لم يعلم أن الخمر يحرم لم يكفر بعدم اعتقاد إيجاب هذا وتحريم هذا؛ بل ولم يعاقب حتى تبلغه الحجة النبوية»[(٢)].

٥. ينبغي التغليظ على كلمة الكفر، كما فعل النبي ﷺ، حيث غلظ عليهم بثلاث كلمات:

الأولى: «الله أكبر».

الثانية: «إنها السنن».

---

(١) انظر: المحلى، لابن حزم (١٢/ ١٣٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٦٧٦).





الثالثة: «لتتبعن سنن من كان قبلكم».

ملخص الجواب عن هذه الشبهة:

أن بني اسرائيل لم يفعلوا ما طلبوه، وكذلك أصحاب الرسول ﷺ لم يفعلوا ما طلبوه، ولا خلاف في أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا، وكذلك لا خلاف في أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه، واتخذوا ذات أنواط لكفروا.

❑ ❑ ❑





[الشبهة الثالثة عشرة]

[من نطق بكلمة التوحيد، فإنه لا يكفر، وإن أتى بما يناقضها]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

وللمشركينَ شبهةٌ أخرى؛ يقولونَ: إن النبي ﷺ أنكرَ على أسامةَ ؓ قتلَ من قالَ: لا إله إلا الله، وقالَ له: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[١]، وكذلكَ قولُه: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[٢].

وأحاديثُ أخرى في الكفّ عمن قالها، ومرادُ هؤلاءِ الجهلةِ: أن من قالَهَا لا يكفرُ ولا يقتلُ ولو فعلَ ما فعلَ.

فيقالُ لهؤلاءِ المشركينَ الجهال: معلومٌ أن رسولَ الله ﷺ قاتلَ اليهودَ وسباهُم، وهم يقولون: لا إله إلا الله؛ وأن أصحابَ رسولِ الله ﷺ قاتلوا بني حنيفةَ وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسولُ الله، ويُصلون، ويَدّعُونَ الإسلامَ؛ وكذلك الذين حرقَهُم عليُّ بنُ أبي طالبٍ بالنارِ؛ وهؤلاءِ الجهلةِ مُقرُّونَ أن من أنكرَ البعثَ كفر وقُتل ولو قال لا إله إلا الله، وأن من جحدَ شيئًا من أركانِ الإسلامِ كفر وقُتل ولو قالَها.

فكيفَ لا تنفعهُ إذا جحدَ شيئًا من الفروعِ، وتنفعُهُ إذا جحدَ التوحيدَ الذي هو أساسُ دينِ الرسلِ ورأسُهُ ؟!؛ ولكن أعداءُ الله ما فهموا معنى الأحاديثِ.

فأما حديثُ أسامةَ ؓ : فإنَهُ قتلَ رجلًا ادعى الإسلامَ بسببِ أنَّهُ ظنَّ أنَّهُ ما ادعاه إلا خوفًا على دمِهِ ومالِه، والرجلُ إذا أظهرَ الإسلامَ وجبَ الكفُ عنهُ حتى

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٩٩)، ومسلم (٢٠)، من حديث أبي هريرة ؓ.



يتبين منهُ ما يُخالفُ ذلكَ؛ وأنزلَ اللهُ تعالى في ذلكَ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء:٩٤]، أي تثبتوا، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإذا تبين منه بعد ذلكَ ما يخالفُ الإسلام قُتِلَ لقولِهِ تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾، ولو كان لا يقتلُ إذا قالها لم يكن للتثبت معنى؛ وكذلكَ الأحاديث الأُخر وأمثالُها معناها ما ذكرناه: أن من أظهرَ التوحيدَ والإسلامَ وجبَ الكفُّ عنهُ إلا أن يتبينَ منهُ ما يناقضُ ذلكَ؛ والدليل على هذا أن رسولَ الله ﷺ قالَ: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

وقالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

هو الذي قال في الخوارجِ: «فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ»[(١)]، «لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»[(٢)] مع كونهم من أكثر الناس عبادةً، وتهليلًا، حتى إن الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم، وهو تعلموا العلمَ من الصحابة فلمْ تنفعهمُ لا إله إلا الله ولا كثرةُ العبادةِ، ولا ادعاءُ الإسلامِ لما ظَهرَ منهمْ مخالَفةُ الشريعة؛ وكذلكَ ما ذكرنَا من قتالِ اليهودِ، وقتالِ الصحابةِ ﷺ بني حنيفةَ؛ وكذلك أرادَ النبي ﷺ أن يغزو بني المصطلق لما أخبرَهُ رجلٌ أنهمْ منعوا الزكاة حتى أنزل الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحُجُرات:٦]، وكانَ الرجلُ كاذبًا عليهم[(٣)]، فكلُ هذا يدلُ على أن مرادَ النبي ﷺ في الأحاديثِ التي احتجوا بها ما ذكرنا.


الشرح

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦)، من حديث علي ﷺ.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤)، من حديث علي ﷺ.

(٣) صحيح: رواه أحمد (١٨٤٥٩)، وصححه الألباني في الصحيحة (٧/ ٢٣٣-٢٣٤).



قــولــه: «وللمشركينَ شبهةٌ أخرى؛ يقولونَ: إن النبي ﷺ أنكرَ على أسامةَ ﷺ قتلَ من قالَ: لا إله إلا الله، وقالَ له: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وكذلكَ قولُه: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وأحاديثُ أخرى في الكفّ عمن قالها، ومرادُ هؤلاءِ الجهلةِ أن من قالَها لا يكفرُ ولا يقتلُ ولو فعلَ ما فعلَ»: أي من قال كلمة التوحيد، فإنه لا يكفر، وإن فعل ما يناقضه، واستدلوا بحديثين:

الأول: عَنْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الحُرَقَةِ، فَصَبَّحْنَا القَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَكَفَّ الأَنْصَارِيُّ فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذًا، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا، حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ(١).

الثاني: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ العَرَبِ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ»(٢).

وأجاب المصنف رحمه الله عن هذه الشبه بجوابين: أحدهما مجمل، والآخر مفصل.

قــولــه: «فيقالُ لهؤلاءِ المشركينَ الجهال: معلومٌ أن رسولَ الله ﷺ قاتلَ اليهودَ وسباهُم، وهم يقولون: لا إله إلا الله؛ وأن أصحابَ رسولِ الله ﷺ قاتلوا بني حنيفةَ

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٩٩)، ومسلم (٢٠)، من حديث أبي هريرة ﷺ.



وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسولُ الله، ويُصلون، ويَدّعُونَ الإسلامَ؛ وكذلك الذين حرقَهُم عليُّ بنُ أبي طالبٍ بالنارِ؛ وهؤلاءِ الجهلةِ مُقرُّونَ أن من أنكرَ البعثَ كفر وقُتل ولو قال لا إله إلا الله، وأن من جحدَ شيئًا من أركانِ الإسلامِ كفر وقُتل ولو قالَها، فكيفَ لا تنفعهُ إذا جحدَ شيئًا من الفروعِ، وتنفعُهُ إذا جحدَ التوحيدَ الذي هو أساسُ دينِ الرسلِ ورأسُهُ ؟!؛ ولكن أعداءُ الله ما فهموا معنى الأحاديثِ»: هذا الجواب المجمل عن هذه الشبهة، **ويتضمن أمرين**:

الأول: أن الرسول ﷺ قاتل اليهود، وهم يقولون: لا إله إلا الله، وقاتل الصحابة ﷺ بني حنيفة، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسولُ الله، ويُصلون، ويَدّعُونَ الإسلامَ، وقاتل علي ﷺ الذين غالوا فيه، وهم كذلك.

الثاني: هؤلاءِ الجهلةِ مُقرُّونَ أن من أنكرَ فريضة من الدين كالصلاة، أو أمرا غيبيا كالبعث كفر وقُتل ولو قال لا إله إلا الله، فكيفَ لا تنفعهُ إذا جحدَ شيئًا من الفروعِ، وتنفعُهُ إذا جحدَ التوحيدَ الذي هو أساسُ دينِ الرسلِ ورأسُهُ ؟!.

قـولـه: «فأما حديثُ أسامةَ ﷺ : فإنَهُ قتلَ رجلًا ادعى الإسلامَ بسببِ أنَّهُ ظنِّ أنَّهُ ما ادعاه إلا خوفًا على دمِهِ ومالِه، والرجلُ إذا أظهرَ الإسلامَ وجبَ الكفُ عنهُ حتى يتبين منهُ ما يُخالفُ ذلكَ؛ وأنزلَ اللهُ تعالى في ذلكَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء:٩٤]، أي تثبتوا، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإذا تبين منه بعد ذلكَ ما يخالفُ الإسلام قُتِلَ؛ لقولِهِ تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾، ولو كان لا يقتلُ إذا قالها لم يكن للتثبت معنى؛ وكذلكَ الأحاديث الأُخر وأمثالُها معناها ما ذكرناه: أن من أظهرَ التوحيدَ والإسلامَ وجبَ الكفُّ عنهُ إلا أن يتبينَ منهُ ما يناقضُ ذلكَ؛ والدليل على هذا أن رسولَ الله ﷺ قالَ: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وقالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا

اللهُ»، هو الذي قال في الخوارجِ: «فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ»(١)، «لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»(٢) مع كونهم من أكثر الناس عبادةً، وتهليلًا، حتى إن الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم، وهو تعلموا العلمَ من الصحابة فلمْ تنفعهمُ لا إله إلا الله ولا كثرةُ العبادةِ، ولا ادعاءُ الإسلامِ لما ظَهرَ منهمْ مخالَفةُ الشريعة؛ وكذلكَ ما ذكرنَا من قتالِ اليهودِ، وقتالِ الصحابةِ ﷺ بني حنيفةَ؛ وكذلك أرادَ النبي ﷺ أن يغزو بني المصطلق لما أخبرَهُ رجلٌ أنهمْ منعوا الزكاة حتى أنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحُجُرات:٦]، وكانَ الرجلُ كاذبًا عليهم، فكلُ هذا يدلُ على أن مرادَ النبي ﷺ في الأحاديثِ التي احتجوا بها ما ذكرنا»: هذا الجواب المفصل عن هذه الشبهة، وأجاب فيه عن كل دليل على حدة.

١. أما حديث أسامة رضي الله عنه، فمعناه: أن من قال: «لا إله إلا الله» وجب الكف عنه حتى يتبين أمره، فإن أتى بمقتضيات كلمة التوحيد، واستقام عليها، فإنه يترك، وإلا قتل؛ لهذا قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [النساء:٩٤]، أي تثبتوا، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإذا تبين منه بعد ذلكَ ما يخالفُ الإسلام قُتِلَ.

وكذلك باقي الأحاديث، معناها: أن من أظهر التوحيد، والإسلام وجب الكف عنه إلا إذا تبين منه ما يناقض ذلك.

٢. أمر النبي ﷺ بقتل الخوارج، وحث عليه، مع أنهم أكثر الناس عبادة، فلم تنفعهم: لا إله إلا الله؛ لأنهم أظهروا ما يخالف الشريعة.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَقْسِمُ، جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ذِي الخُوَيْصِرَةِ

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦)، من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤)، من حديث علي رضي الله عنه.



التَّمِيمِيُّ، فَقَالَ: اعْدِلْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ» قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ: «دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا، يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»(١).

٣. قاتل النبي ﷺ اليهود، وقاتل الصحابة بني حنفية مع أنهم يقولون: لا إله إلا الله.

٤. أراد النبي ﷺ أن يغزو بني المصطلق؛ لأنه أُخبر أنهم منعوا الزكاة، وكان المخبِر، وهو الوليد بن عقبة بن أبي معيط كاذبا.

عن الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ الْخُزَاعِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَدَعَانِي إِلَى الْإِسْلَامِ، فَدَخَلْتُ فِيهِ، وَأَقْرَرْتُ بِهِ، فَدَعَانِي إِلَى الزَّكَاةِ، فَأَقْرَرْتُ بِهَا، وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرْجِعُ إِلَى قَوْمِي، فَأَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَدَاءِ الزَّكَاةِ، فَمَنْ اسْتَجَابَ لِي جَمَعْتُ زَكَاتَهُ، فَيُرْسِلُ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَسُولًا لِإِبَّانِ كَذَا وَكَذَا لِيَأْتِيَكَ مَا جَمَعْتُ مِنَ الزَّكَاةِ، فَلَمَّا جَمَعَ الْحَارِثُ الزَّكَاةَ مِمَّنْ اسْتَجَابَ لَهُ، وَبَلَغَ الْإِبَّانَ الَّذِي أَرَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُبْعَثَ إِلَيْهِ، احْتَبَسَ عَلَيْهِ الرَّسُولُ، فَلَمْ يَأْتِهِ، فَظَنَّ الْحَارِثُ أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ فِيهِ سَخْطَةٌ مِنَ اللهِ عز وجل وَرَسُولِهِ، فَدَعَا بِسَرَوَاتِ قَوْمِهِ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ وَقَّتَ لِي وَقْتًا يُرْسِلُ إِلَيَّ رَسُولَهُ لِيَقْبِضَ مَا كَانَ عِنْدِي مِنَ الزَّكَاةِ، وَلَيْسَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْخُلْفُ، وَلَا أَرَى حَبْسَ رَسُولِهِ إِلَّا مِنْ سَخْطَةٍ كَانَتْ، فَانْطَلِقُوا، فَنَأْتِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ إِلَى الْحَارِثِ لِيَقْبِضَ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِمَّا جَمَعَ مِنَ الزَّكَاةِ، فَلَمَّا أَنْ سَارَ الْوَلِيدُ حَتَّى بَلَغَ بَعْضَ الطَّرِيقِ، فَرِقَ، فَرَجَعَ، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ الْحَارِثَ مَنَعَنِي الزَّكَاةَ، وَأَرَادَ قَتْلِي، فَضَرَبَ رَسُولُ اللهِ



(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٩٣٣)، ومسلم (١٠٦٤).

ﷺ الْبَعْثَ إِلَى الْحَارِثِ، فَأَقْبَلَ الْحَارِثُ بِأَصْحَابِهِ إِذْ اسْتَقْبَلَ الْبَعْثَ وَفَصَلَ مِنَ الْمَدِينَةِ، لَقِيَهُمُ الْحَارِثُ، فَقَالُوا: هَذَا الْحَارِثُ، فَلَمَّا غَشِيَهُمْ، قَالَ لَهُمْ: إِلَى مَنْ بُعِثْتُمْ؟ قَالُوا: إِلَيْكَ، قَالَ: وَلِمَ؟ قَالُوا: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ بَعَثَ إِلَيْكَ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ، فَزَعَمَ أَنَّكَ مَنَعْتَهُ الزَّكَاةَ، وَأَرَدْتَ قَتْلَهُ قَالَ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ، مَا رَأَيْتُهُ بَتَّةً، وَلَا أَتَانِي فَلَمَّا دَخَلَ الْحَارِثُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «مَنَعْتَ الزَّكَاةَ، وَأَرَدْتَ قَتْلَ رَسُولِي؟»، قَالَ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا رَأَيْتُهُ، وَلَا أَتَانِي، وَمَا أَقْبَلْتُ إِلَّا حِينَ احْتَبَسَ عَلَيَّ رَسُولُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، خَشِيتُ أَنْ تَكُونَ كَانَتْ سَخْطَةً مِنَ اللهِ ﷻ، وَرَسُولِهِ، قَالَ: فَنَزَلَتِ الْحُجُرَاتُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ [الحُجُرات:٦] إِلَى هَذَا الْمَكَانِ: ﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨﴾ [الحُجُرات:٨][(١)].

فكل هذا يدل على أن من قال: «لا إله إلا الله»، ولم يستقم على الدين كفر، ووجب قتله.

ملخص الجواب عن هذه الشبهة:

١. أن الرسول ﷺ قاتل اليهود، وهم يقولون: لا إله إلا الله، وقاتل الصحابة ﷺ بني حنيفة، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسولُ الله، ويُصلون، ويَدّعُونَ الإسلامَ، وقاتل علي ﷺ الذين غالوا فيه، وهم كذلك.

٢. هؤلاءِ الجهلةِ مُقرُّونَ أن من أنكرَ فريضة من الدين كالصلاة، أو أمرا غيبيا كالبعث كفر وقُتل ولو قال لا إله إلا الله، فكيفَ لا تنفعهُ إذا جحدَ شيئًا من الفروعِ، وتنفعُهُ إذا جحدَ التوحيدَ الذي هو أساسُ دينِ الرسلِ ورأسُهُ ؟!.

٣. من قال: «لا إله إلا الله» وجب الكف عنه حتى يتبين أمره، فإن استقام على

(١) صحيح: رواه أحمد (١٨٤٥٩)، وصححه الألباني في الصحيحة (٧/ ٢٣٣-٢٣٤).





كلمة التوحيد ، فإنه يترك، وإلا قتل.

وكذلك باقي الأحاديث، معناها: أن من أظهر التوحيد، والإسلام وجب الكف عنه إلا إذا تبين منه ما يناقض ذلك.

٤. أمر النبي ﷺ بقتل الخوارج، وحث عليه، مع أنهم أكثر الناس عبادة، فلم تنفعهم: لا إله إلا الله؛ لأنهم أظهروا ما يخالف الشريعة.

٥. قاتل النبي ﷺ اليهود، وقاتل الصحابة بني حنفية مع أنهم يقولون: لا إله إلا الله.

٦. أراد النبي ﷺ أن يغزو بني المصطلق؛ لأنه أُخبر أنهم منعوا الزكاة، وكان المخبِر، وهو الوليد بن عقبة بن أبي معيط كاذبا.

☐ ☐ ☐



[الشبهة الرابعة عشرة]

[الاستغاثة بغير الله ليست بشرك؛ لأن الناس يستغيثون يوم القيامة بالأنبياء]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

ولهمْ شُبهةٌ أخرى: وهي ما ذَكرَ النبيُّ ﷺ أن الناسَ يومَ القيامةِ يستغيثونَ بآدمَ، ثُمَّ بنوحٍ، ثمَّ بإبراهيم، ثمَّ بموسى، ثمَّ بعيسى، فكلُّهم يعتذرُون، حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ، قالوا: فهذا يدلُّ على أن الاستغاثة بغيرِ الله ليستْ شركًا.

فالجوابُ أن نقولَ: سبحانَ من طبعَ على قلوبِ أعدائِه، فإن الاستغاثةَ بالمخلوقِ فيما يقدرُ عليه لا نُنكرها؛ كما قال تعالى في قصة موسى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص:١٥]، وكما يستغيثُ الإنسانُ بأصحابِهِ في الحربِ، وغيرِه في أشياءَ يقدرُ عليها المخلوقُ.

ونحن أنكرنا استغاثَةَ العبادة التي يفعلونَهَا عندَ قُبُورِ الأولياءِ أو في غَيبتِهم في الأشياءِ التي لا يقدرُ عليها إلا الله تعالى.

إذا ثبتَ ذلكَ: فالاستغاثةُ بالأنبياءِ يومَ القيامةِ، يُريدونَ منهم أن يدعو الله أن يحاسبَ الناسَ حتى يستريحَ أهلُ الجنةِ من كربِ الموقفِ، وهذا جائزٌ في الدنيا والآخرة؛ أن تأتِيَ عندَ رجلٍ صالحٍ، حتى يُجالسكَ، ويسمعُ كلامَك، تقولُ لهُ: ادعُ الله لي كما كانَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ يسألونَهُ في حياتِه، وأما بعدَ موته فحاشا وكلا أنهم سألوهُ ذلك عندَ قبرِه، بل أنكرَ السلفُ على من قصدَ دعاءَ الله عندَ قبرِه، فكيفَ بدعائِه نفسه ؟!.

.... الشـرح ....



قـــولـــه: «ولهمْ شُبهةٌ أخرى: وهي ما ذَكرَ النبيُّ ﷺ أن الناسَ يومَ القيامةِ يستغيثونَ بآدمَ، ثُمَّ بنوحٍ، ثمَّ بإبراهيم، ثمَّ بموسى، ثمَّ بعيسى، فكلُّهم يعتذرُون، حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ، قالوا: فهذا يدلُ على أن الاستغاثة بغيرِ الله ليستْ شركًا»: أي مما يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست بشرك أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ثُمَّ بنوحٍ، ثمَّ بإبراهيم، ثمَّ بموسى، ثمَّ بعيسى، فكلُّهم يعتذرُون، حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ.

والاستغاثة: هي طلب الغوث، وهو إزالة الشدة[1].

قـــولـــه: «فالجوابُ أن نقولَ: سبحانَ من طبعَ على قلوبِ أعدائِه، فإن الاستغاثةَ بالمخلوقِ فيما يقدرُ عليه لا نُنكرها؛ كما قال تعالى في قصة موسى: ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص:١٥]، وكما يستغيثُ الإنسانُ بأصحابِهِ في الحربِ، وغيرِه في أشياءَ يقدرُ عليها المخلوقُ، ونحن أنكرنا استغاثةَ العبادة التي يفعلونَها عندَ قُبُورِ الأولياءِ أو في غَيبتِهم في الأشياءِ التي لا يقدرُ عليها إلا الله تعالى؛ إذا ثبتَ ذلكَ: فالاستغاثةُ بالأنبياءِ يومَ القيامةِ، يُريدونَ منهم أن يدعو الله أن يحاسبَ الناسَ حتى يستريحَ أهلُ الجنةِ من كربِ الموقفِ، وهذا جائزٌ في الدنيا والآخرة؛ أن تأتيَ عندَ رجلٍ صالحٍ، حتى يُجالسكَ، ويسمعُ كلامَك، تقولُ لهُ: ادعُ الله لي كما كانَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ يسألونَهُ في حياتِه، وأما بعدَ موتِه فحاشا وكلا أنهم سألوهُ ذلك عندَ قبرِه، بل أنكرَ السلفُ على من قصدَ دعاءَ الله عندَ قبرِه، فكيفَ بدعائِه نفسه ؟!»: هذا الجواب عن هذه الشبهة، وهو أن الاستغاثة بغير الله جائزة إن كانت في أمر يقدر عليه المستغاث به كما في قصة موسى عليه السلام، وإنما لا تجوز الاستغاثة إذا كانت فيما لا يقدر عليه إلا الله جل جلاله.



(١) انظر: لسان العرب، مادة «غوث».

واستغاثة الناس بالأنبياء من الاستغاثة الجائزة؛ لأنها استغاثة بحي قادر، ومن باب التوسل بدعاء الصالحين، كمن يذهب إلى رجل صالح حي، فيقول له: ادع لي.

أما بعد الموت فلا تجوز؛ وقد أنكر السلف على من دعا الله عند القبر، فكيف بمن دعا صاحب القبر نفسه؟.

ملخص الجواب عن هذه الشبهة:

- **أن الاستغاثة نوعان:**

الأول: استغاثة جائزة، وهي ما كانت تطلب من حي قادر على الاغاثة.

الثاني: استغاثة شركية، وهي ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

❑ ❑ ❑





[الشبهة الخامسة عشرة]

[لو كانت الاستغاثة شركا لما عرضها جبريل عليه السلام على إبراهيم عليه السلام]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

ولهمْ شبهةٌ أخرى: وهي قصةُ إبراهيمَ لما أُلقيَ في النارِ، اعترضَ لهُ جبريلُ في الهواءِ فقالَ: ألكَ حاجةٌ؟ فقالَ إبراهيمُ عليه السلام: «أما إليك فلا»[1].

قالوا: فلو كانتِ الاستغاثةُ بجبرائيلَ شِركًا لم يعرضْها على إبراهيمَ.

فالجواب: أن هذا من جنس الشبهةِ الأولى، فإن جبريل عليه السلام عرضَ عليه أن ينفعَهُ بأمرٍ يقدرُ عليهِ، فإنَّهُ كما قال الله تعالى فيه: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم:٥].

فلو أذنَ اللهُ لهُ أن يأخذَ نارَ إبراهيمَ، وما حولَها من الأرضِ، والجبالِ، ويُلقيها في المشرقِ أو المغربِ لفعلَ، ولو أمرَهُ الله أن يضعَ إبراهيمَ عليه السلام في مكانٍ بعيدٍ عنهم لفعلَ، ولو أمرَهُ أن يرفعَهُ إلى السماءِ لفعل؛ وهذا كرجلٍ غنيٍّ لهُ مالٌ كثيرٌ يرى رجلًا محتاجًا فيعرِضُ عليه أن يُقرضَهُ، أو يهَبَهُ شيئًا يقضي به حاجَتَهُ، فيأبى ذلكَ المحتاجُ أن يأخذَ ويصبرَ إلى أن يأتيَهُ اللهُ برزقٍ لا منَّةَ فيهِ لأحدٍ؛ فأينَ هذا من استغاثةِ العبادةِ والشركِ لو كانوا يفقهون؟!

الشـرح

قــولـــه: «ولهمْ شبهةٌ أخرى: وهي قصةُ إبراهيمَ لما أُلقيَ في النارِ، اعترضَ لهُ جبريلُ في الهواءِ فقالَ: ألكَ حاجةٌ؟ فقالَ إبراهيمُ عليه السلام: «أما إليك فلا»؛ قالوا: فلو كانتِ الاستغاثةُ بجبرائيلَ شِركًا لم يعرضْها على إبراهيمَ»: أي لو كان طلب الاستغاثة من غير الله شركا لما عرضها جبريل عليه السلام على إبراهيم عليه السلام.



(١) ضعيف: رواه الأصبهاني في الحلية (١/٢٠)، وضعفه الألباني في الضعيفة (٢١).، وقال « لا أصل له».

قــولــه: «فالجواب: أن هذا من جنس الشبهةِ الأولى، فإن جبريل عليه السلام عرضَ عليه أن ينفعَهُ بأمر يقدرُ عليهِ، فإنَهُ كما قال الله تعالى فيه: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم:٥]، فلو أذنَ اللهُ لهُ أن يأخذَ نارَ إبراهيمَ، وما حولَها من الأرضِ، والجبالِ، ويُلقيها في المشرقِ أو المغربِ لفعلَ، ولو أمرَهُ الله أن يضعَ إبراهيمَ عليه السلام في مكانٍ بعيدٍ عنهم لفعلَ، ولو أمرَهُ أن يرفعَهُ إلى السماءِ لفعل؛ وهذا كرجلٍ غنيٍّ لهُ مالٌ كثيرٌ يرى رجلًا محتاجًا فيعرضُ عليه أن يُقرضَهُ، أو يهبَهُ شيئًا يقضي به حاجَتَهُ، فيأبى ذلكَ المحتاجُ أن يأخذَ ويصبرَ إلى أن يأتيَهُ اللهُ برزقٍ لا منَّةَ فيهِ لأحدٍ؛ فأينَ هذا من استغاثةِ العبادةِ والشركِ لو كانوا يفقهون ؟!»: هذا الجواب عن هذه الشبهة، وهو أن عرض جبريل عليه السلام على إبراهيم عليه السلام الاستغاثة من باب طلب الاستغاثة من الحي القادر، وهذا على فرض صحة الحديث.

وهذا مثل رجل غني عرض على فقير أن يقضي حاجته، فيمتنع الفقير حتى يأتيه الله برزق من عنده، ولو أجابه لم يكن مشركا.

ملخص الجواب عن هذه الشبهة:

- أن عرض جبريل عليه السلام على إبراهيم عليه السلام الاستغاثة من باب طلب الاستغاثة من الحي القادر، وهذا على فرض صحة الحديث.





[الخاتمة]

[التوحيد يكون بالقلب، واللسان، والجوارح، فإن اختل منها شيئا لم يكن الرجل مسلما]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

ولنختمْ الكتابَ بذكرِ مسألةٍ عظيمة مهمةٍ تُفهمً مما تقدمَ، ولكنْ نُفرد الكلامَ لعظمِ شأنِها، ولكثرةِ الغلطِ فيها، فنقولُ: لا خلافَ أن التوحيدَ لا بدَ أن يكونَ بالقلبِ، واللسانِ، والعملِ ، فإن اختل شيءٌ من هذا لم يكنِ الرجلُ مسلمًا.

الشرح

قوله: «ولنختمْ الكتابَ بذكرِ مسألةٍ عظيمة مهمةٍ تُفهمً مما تقدمَ، ولكنْ نُفرد الكلامَ لعظمِ شأنِها، ولكثرةِ الغلطِ فيها، فنقولُ: لا خلافَ أن التوحيدَ لا بدَ أن يكونَ بالقلبِ، واللسانِ، والعملِ، فإن اختل شيءٌ من هذا لم يكنِ الرجلُ مسلمًا»: أي من المسائل العظيمة التي كثر فيها الخطأ مسألة الإيمان.

والذي لا خلاف فيه أن الإيمان لا بد أن يجتمع فيه ثلاثة أشياء:

الأول: اعتقاد القلب، ويشمل عمل، وقول القلب.

أما قول القلب فهو تصديقه وإيقانه، والدليل على أن قول القلب من الإيمان قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ [الحُجُرات:١٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ﴾ [الحُجُرات:١٥].

أي صدَّقوا ثم لم يشكوا في وحدانية الله، ولا في نبوة نبيه ﷺ، وألزم نفسه طاعة الله، وطاعة رسوله ﷺ، والعمل بما وجب عليه من فرائض الله بغير شك منه في

وجوب ذلك عليه[١].

وفي حديث الشفاعة: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً[٢]، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الخَيْرِ ذَرَّةً[٣]»[٤].

قال شيخ الإسلام: «فمجرد علم القلب بالحق إن لم يقترن به عمل القلب بموجب علمه مثل محبة القلب له واتباع القلب له لم ينفع صاحبه بل أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه»[٥].

أما عمل القلب، فهو نيته ومحبته وتوكله على الله، والدليل على أن عمل القلب من الإيمان قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام:٥٢].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣٥﴾ [الحج:٣٥].

وحديث عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ»[٦].

وحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ»[٧].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٣١٨).

(٢) برة: أي قمحة.

(٣) ذرة: أي نملة صغيرة.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٧٤١٠)، ومسلم (١٩١)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٧١).

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٢٥٢٩)، ومسلم (١٩٠٧).

(٧) متفق عليه: رواه البخاري (١٤)، ومسلم (٤٤).



قال شيخ الإسلام: «عامة فرق الأمة تدخل ما هو من أعمال القلوب حتى عامة فرق المرجئة تقول بذلك، وأما المعتزلة والخوارج وأهل السنة وأصحاب الحديث فقولهم في ذلك معروف، وإنما نازع في ذلك من اتبع جهم بن صفوان من المرجئة، وهذا القول شاذ كما أن قول الكرامية الذين يقولون: هو مجرد قول اللسان شاذ أيضا؛ وهذا أيضا مما ينبغي الاعتناء به، فإن كثيرا ممن تكلم في مسألة الإيمان هل تدخل فيه الأعمال؟ وهل هو قول وعمل؟ يظن أن النزاع إنما هو في أعمال الجوارح، وأن المراد بالقول: قول اللسان، وهذا غلط؛ بل القول المجرد عن اعتقاد الإيمان ليس إيمانا باتفاق المسلمين؛ فليس مجرد التصديق بالباطن هو الإيمان عند عامة المسلمين إلا من شذ من أتباع جهم والصالحي، وفي قولهم من السفسطة العقلية والمخالفة في الأحكام الدينية أعظم مما في قول ابن كرام إلا من شذ من أتباع ابن كرام، وكذلك تصديق القلب الذي ليس معه حب لله ولا تعظيم بل فيه بغض وعداوة لله ورسله ليس إيمانا باتفاق المسلمين»(١).

الثاني: قول اللسان.

قول اللسان، هو النطق بالشهادتين، والدليل على أن قول اللسان من الإيمان قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ [البقرة:١٣٦].

وفي حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى الله»(٢).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٥٥٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٠).



قال شيخ الإسلام: «فأما الشهادتان إذا لم يتكلم بهما مع القدرة، فهو كافر باتفاق المسلمين وهو كافر باطنا وظاهرا عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير علمائها، وذهبت طائفة من المرجئة وهم جهمية المرجئة: كجهم والصالحي وأتباعهما إلى أنه إذا كان مصدقا بقلبه كان كافرا في الظاهر دون الباطن»[١].

الثالث: عمل اللسان، والجوارح، والأركان.

أما عمل اللسان الجوارح، فعمل اللسان ما لا يؤدى إلا به كتلاوة القرآن وسائر الأذكار، وعمل الجوارح ما لا يؤدى إلا بها مثل القيام والركوع.

ومن الأدلة على أن عمل اللسان والجوارح من الإيمان:

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٢﴾ [الرعد:٢٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾ [الحُجُرات:١٥].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١﴾ [الأحزاب:٤١].

وحديث ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قَالَ لوفد عبد القيس: «آمُرُكُمْ بِالإِيمَانِ بِاللهِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَتُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ»[٢].

فإذا اختل من هذه الثلاثة أشياء شيء لم يكن العبد مسلما.

والإيمان شرعا: قول وعمل: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، (٧/ ٦٠٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٧٥٥٦)، ومسلم (١٧).





والجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[(١)].

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: «كان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر»[(٢)].

وقال ابن عبد البر: «أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ولا عمل إلا بنية والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان إلا ما ذُكِر عن أبي حنيفة وأصحابه، فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تسمى إيمانا قالوا إنما الإيمان التصديق والإقرار، ومنهم من زاد والمعرفة»[(٣)].

❑ ❑ ❑

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٥١).

(٢) انظر: السابق (٧/ ٢٠٩).

(٣) انظر: التمهيد، لابن عبد البر (٩/ ٢٣٨).



[أقسام الناس في التوحيد]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

فإن عرفَ التوحيدَ، ولم يعملْ بِهِ فهوَ كافرٌ معاندٌ، كفرعونَ وإبليسَ وأمثالِهما، وهذا يغلطُ فيهِ كثيرٌ من الناسِ يقولون: هذا حقٌّ ونحنُ نفهمُ هذا، ونشهدُ أنهُ الحقُّ ولكنْ لا نقدر أن نفعَلَهُ، ولا يجوزُ عندَ أهلِ بلدنا إلا من وافَقَهُمْ، أو غير ذلكَ من الأعذارِ، ولمْ يدرِ المسكينُ أن غالبَ أئمةِ الكفرِ، يعرفونَ الحقَ، ولم يتركوهُ إلا لشيءٍ من الأعذارِ كما قال تعالى: ﴿ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ [التوبة:٩]؛ وغيرِ ذلكَ من الآياتِ، كقولِه تعالى: ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ [البقرة:١٤٦].

فإن عملَ بالتوحيدِ عملًا ظاهرًا وهو لا يفهمه، أو لا يعتقدهُ بقلبِهِ فهو منافقٌ، وهو شرٌّ من الكافرِ الخالصِ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥﴾ [النساء:١٤٥].

وهذه المسألة مسألة كبيرةٌ طويلةٌ تتبينُ له إذا تأملْتَها في ألسنة الناسِ؛ ترى من يعرفُ الحقَ ويتركُ العملَ به لخوف نقصِ دينا أو جاهٍ، أو مداراةٍ، وترى من يعملُ به ظاهرًا لا باطنًا، فإذا سألتَهُ عما يعتقدُ بقلبِهِ فإذا هو لا يعرفُه.

.... الشـرح ....

قــولــه: «فإن عرفَ التوحيدَ، ولم يعملْ بِهِ فهوَ كافرٌ معاندٌ، كفرعونَ وإبليسَ وأمثالِهما، وهذا يغلطُ فيهِ كثيرٌ من الناسِ يقولون: هذا حقٌّ ونحنُ نفهمُ هذا، ونشهدُ أنهُ الحقُّ ولكنْ لا نقدر أن نفعَلَهُ، ولا يجوزُ عندَ أهلِ بلدنا إلا من وافَقَهُمْ، أو غير ذلكَ من الأعذارِ، ولمْ يدرِ المسكينُ أن غالبَ أئمةِ الكفرِ، يعرفونَ الحقَ، ولم يتركوهُ إلا لشيءٍ من الأعذارِ كما قال تعالى: ﴿ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ [التوبة:٩]؛



وغيرِ ذلكَ من الآياتِ، كقولِه تعالى: ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ [البقرة:١٤٦]، فإن عملَ بالتوحيدِ عملًا ظاهرًا وهو لا يفهمه، أو لا يعتقدهُ بقلبِهِ فهو منافقٌ، وهو شرٌّ من الكافرِ الخالصِ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥﴾ [النساء:١٤٥]»: قسم المصنف رحمه الله الناس في التوحيد أربعة أقسام:

القسم الأول: من عرفَ التوحيدَ، ولم يعملْ بهِ، وهو نوعان:

النوع الأول: من لم يعمل به عنادا، فهوَ كافرٌ معاندٌ، كفرعونَ وإبليسَ وأمثالِهما، كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤﴾ [النمل:١٤].

النوع الثاني: من لم يعمل به؛ لأجل عذر غير صحيح، فهو كافر، كما قال تعالى: ﴿ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [التوبة:٩].

وقال تعالى: ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ [البقرة:١٤٦].

القسم الثاني: من عمل بالتوحيد ظاهرا، ولكنه لا يعتقده بقلبه، فهو منافق، وهو شر من الكافر الخالص؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥﴾ [النساء:١٤٥].

القسم الثالث: من عرف التوحيد، وعمل به ظاهرا، وباطنا، فهو المؤمن الموحد.

القسم الرابع: من عرف التوحيد، وعمل به باطنا، وخالفه ظاهرا؛ للإكراه، وهذا معذور لا شيء عليه، وسيأتي ذكره إن شاء الله في كلام المصنف.

قـولـه: «وهذه المسألة مسألة كبيرةٌ طويلةٌ»: أي مسألة الإيمان، وأنه لا بد أن يكون بالقلب، واللسان، والجوارح.

قــولـــه: «تتبينُ له إذا تأملْتَها في ألسنة الناسِ؛ ترى من يعرفُ الحقَ ويتركُ العملَ به لخوف نقصِ دينا أو جاهٍ، أو مداراةٍ، وترى من يعملُ بهِ ظاهرًا لا باطنًا، فإذا سألتَهُ عما يعتقدُ بقلبِهِ فإذا هو لا يعرفُه»: المراد بالمدارة هنا المداهنة، وهي ترك شيء من الدين لأجل الناس.

❑ ❑ ❑





[من يعذرُ بترك التوحيد؟]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

ولكنْ عليكَ بفهمِ آيتينِ من كتاب الله:

أولاهُما: ما تقدم؛ وهي قولُه: ﴿ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ ﴾ [التوبة:٦٦]، فإذا تحققتَ أن بعضَ الصحابةِ الذين غزوا الرومَ مع رسولِ الله ﷺ كفروا بسبب كلمةٍ قالوها على وجهِ المزْحِ واللعبِ، تبينَ لكَ: أن الذي يتكلمُ بالكفرِ أو يعملُ به خوفًا من نقصِ مالٍ، أو جاهٍ، أو مداراةٍ لأحدٍ أعظمُ ممن يتكلمُ بكلمةٍ يمزحُ بها.

والآية الثانية: قولُه تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [النحل:١٠٦-١٠٧]؛ فلم يَعذرِ اللهُ من هؤلاءِ إلا من أُكره مع كونِ قلبه مُطمئنًا بالإيمانِ، وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه، سواءً فعل خوفًا، أو مداراة، أو مشحة بوطنه، أو أهله أو عشيرته، أو ماله، أو فعله على وجه المزاح، أو لغير ذلك من الأغراض إلا المكره، فالآية تدلُ على هذا من جهتين.

الأول قولُه: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ﴾ فلمْ يستثنِ الله إلا المكرهَ، ومعلومٌ أن الإنسان لا يكرهُ إلا على العملِ أو الكلامِ، وأما عقيدةُ القلبِ فلا يُكرهُ أحدٌ عليها.

والثاني: قولُه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾، فصرحَ أن هذا الكفرَ والعذابَ لم يكن بسبب الاعتقادِ أو الجهلِ أو البغضِ للدين أو محبةِ الكفر، وإنما سببُه أن لهُ في ذلك حظًا من حظوظِ الدنيا فآثرَهُ على الدينِ، والله ﷻ أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الشرح

قــولــه: «ولكنْ عليكَ بفهمِ آيتينِ من كتاب الله»: هذا فيه حث على الاهتمام بالآيتين التين سيذكرهما.

قــولــه: «أولاهُما: ما تقدم؛ وهي قولُه: ﴿لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٦]، فإذا تحققتَ أن بعضَ الصحابةِ الذين غزوا الرومَ مع رسولِ الله ﷺ كفروا بسبب كلمةٍ قالوها على وجهِ المزْحِ واللعبِ، تبينَ لكَ: أن الذي يتكلمُ بالكفرِ أو يعملُ به خوفًا من نقصِ مالٍ، أو جاهٍ، أو مداراةٍ لأحدٍ أعظمُ ممن يتكلمُ بكلمةٍ يمزحُ بها»: أي من تكلم بكلمة الكفر خوفا من نقص ماله، أو جاه أعظم كفرا عند الله ﷻ ممن يتكلم بها مازحا، أو لا عبا.

قــولــه: «والآية الثانية: قولُه تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [النحل:١٠٦-١٠٧]؛ ....»: أي من تكلم بكلمة الكفر مكرها مع إيمانه، فهو معذور، ولا شيء عليه.

وأما من تكلم بها لغير ذلك كمن قالها خوفا، أو مداراة، أو مشحة بوطنه، أو أهله، أو ماله، أو قالها مازحا، فليس بمعذور .

والدليل قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [النحل:١٠٦-١٠٧].

والشاهد من الآية من وجهين:





الأول: لم يستثن الله ﷻ إلا المكره، والإكراه لا يكون إلا على العمل، أو القول، أما اعتقاد القلب، فلا يكره عليه.

الثاني: قوله ﷻ : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي لم يكن الكفر بسبب الاعتقاد، وإنما كان بسبب محبة الكفر.

ولا يكون مكرها إلا بشروط ثلاثة:

أحدها: أن يكون المكره قادرا على فعل ما توعده به، لا يمكن دفعه عنه.

الثاني: أن يغلب على ظنه فعل ما توعده به، وإن لم يفعل.

الثالث: أن يكون ضرره كثيرا غير محتمل كالقتل، والقطع، والحبس الطويل، وأخذ المال، فأما التهدد بالشتم أو الضرب اليسير ونحوه فليس بمكره[١].

□ □ □

(١) انظر: الكافي (٤/ ٤٣٥).



الأسئلة والمناقشة

في ضوء دراستك لكتاب «أوجزت العبارات على كشف الشبهات» أجب عن الأسئلة الآتية:

السؤال الأول: ذكر المصنف رحمه الله ثمانية قواعد لمجادلة المشرك اذكرها.

السؤال الثاني: ما هو الجواب المجمل الذي ذكرها المصنف رحمه الله الذي يجاب به على المشرك ؟ ومتى يصار إليه؟ مع ذكر مثال عليه .

السؤال الثالث: كيف تجيب عن الشبه الآتية تفصيلا؟

١- ادعاء الفرق بينهم وبين المشركين الأولين في اعتقاد الربوبية.

٢- ادعاء الفرق بين من يعبد الأصنام ومن يعبد الصالحين.

٣- الكفار يريدون المنفعة والمضرة ممن يعبدونهم ونحن نريد الشفاعة فقط.

٤- ادعاء أن الالتجاء إلى الصالحين ليس بعبادة.

٥- الخلط بين الشفاعة الشرعية والشفاعة الشركية.

٦-أن الله ملك نبيه الشفاعة ونحن نطلب منه مما أعطاه الله تعالى.

٧-ادعاء أن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك.

٨- ادعاء أن الشرك خاص بعبادة الأصنام.

٩- ادعاء أن الكفر خاص بمن نسب الولد إلى الله.

١٠- أولياء الله لهم جاه عند الله ونحن نسأل الله بجاههم.

١١- ادعاء أن من أدى بعض واجبات الدين لا يكون كافرا ولو أتى بما ينافي التوحيد.

١٢-أن بعض أصحاب موسى وأصحاب رسول الله ﷺ لم يكفروا على شناعة طلبهم.

١٣- ادعاء أن من أتى بالتوحيد فإنه لا يكفر ولو فعل ما فعل .





١٤- إذا جازت الاستغاثة بالأنبياء في الآخرة ، فمن باب أولى أن تجوز في الدنيا.

١٥- عرض جبريل على إبراهيم ﷺ أن يغيثه ، فلو كان ذلك شركاً لما فعله.

نسأل الله لنا و لكم التوفيق و السداد.

□ □ □



الفهرس



جلب النفع ودفع الضر، وهذا هو الشرك

منزلة هذه الشُبة الثلاثة عند المشركين

الشبهة الرابعة: الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة

الشبهة الخامسة: إنكار شفاعة الرسول ﷺ، والصالحين إنكار لشفاعة الرسول ﷺ

الشبهة السادسة: النبي ﷺ أُعطي الشفاعة، وأنا أطلب منه مما أعطاه الله ﷻ

الشبهة السابعة: الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك

الشبهة الثامنة: الشرك خاص عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام

الشبهة: التاسعة: لا يكفر إلا من نسب الولد إلى الله ﷻ

الشبهة العاشرة: أولياء الله لهم جاه عند الله ونحن نسأل الله بجاههم

شرك الأولين أخف من شرك المتأخرين

الشبهة الحادية عشرة: كيف تجعلوننا مثل الكفار، ونحن موحدون، مصدقون بالقرآن، مؤمنون بالبعث، مؤدون للفرائض

الشبهة الثانية عشرة: أصحاب موسى عليه السلام، وأصحاب الرسول ﷺ لم يكفروا بذلك

الشبهة الثالثة عشرة: من نطق بكلمة التوحيد، فإنه لا يكفر، وإن أتى بما يناقضه

الشبهة الرابعة عشرة: الاستغاثة بغير الله ليست بشرك؛ لأن الناس يستغيثون يوم القيامة بالأنبياء

الشبهة الخامسة عشرة: لو كانت الاستغاثة شركا لما عرضها جبريل عليه السلام على إبراهيم عليه السلام



